الشيخ ضاري

قاتل الكولونيل لجمن في خان النقطة

تأليف

عبد الحميد العلوچي   عزيز جاسم الحجية

صدر بمناسبة مرور أربعين سنة على وفاته

منشورات

مكتب العلوچي والحجية

مطبعة أسعد - بغداد

١٩٦٨



«إنّ أبناء العراق الطيبين سيذكرونني .
وهذا من فضل الله عليّ وعلى أولادي وعشيرتي»

ضاري
من استجوابه في قائممقامية سنجار


م. سرمد حاتم شكر

المقدمة

... وهذا الكتاب سيكون طليعة كتب اخرى ، تتناول بالدرس والنقد ، بعض الايام العراقية القريبة ماثلة في بطولات وملاحم .

والذي حثنا على استجلاء تاريخنا في عهده الاقرب هو وفاة الحس التاريخي في حركة التأليف المعاصر ، ونفاق المؤرخين ، وتشبثهم بالاضغاث والتخرصات ، واتكالهم على روايات المقاهي واحاديث المجالس وفيض الذاكرة المريضة .

وكان هذا وغير هذا حافزاً الى أن نعيد النظر في تراثنا التاريخي ، ونفحص معالمه الغبشاء بألف مجهر .. فبدون ذلك لن نستطيع أن نضع أقدامنا حيث يجب ، ولن يتأتى لنا أن نقول الكلمة الفاضلة الصادقة في معرض الليالي التي صاغت للعراقيين عراقهم .

وقد شاء مكتبنا : مكتب العلوجي والحجية، أن يستجمع قواه، رغم فقره وعوزه ، موفوراً على احفل البطولات العراقية بالخير والحق والجمال ، وعلى اخصب الحقول التي هيمن عليها الروح الثوري .

وانعقدت النية على مشروع . واستقام هـذا المشروع حقيقة واقعة .. ومن سعادتنا أن تتجسد هذه الحقيقة رجلاً مؤمناً عارك الدخيل الغازي بارادة صارمة عاشت نظيفة دون أن تغتالها خيانة أو تراودها هدنة . وهذا الرجل هو الشيخ ضاري بن ظاهر المحمود الذي أفسد على الكولونيل لچمن حكمه السياسي في منطقة الدليم ، وسلب أمنه ، وأقض مضـجعه ، ثم قتله ـ أخـيراً ـ ليطهر البادية العراقية من أمكر شياطينها !!

وشاءت الصدفة أن يصدر هـذا الـكتاب في اليوم الاول من شباط ١٩٦٨ وهو بذلك يناسب مرور أربعين سنة على وفاة الشيخ الثائر .. وهذا تكريم شاء الله أن يجيء وفاقاً للذكرى .

وسيلي هذا الكتاب كتاب عن (شعلان أبو الجون) ، وكتاب، وكتاب ، حتى نهـاية الموكب الذي ازدان بأعـلام الثورة العراقيـة الكبرى : ثورة العشرين .

وانا لنرجو ، في ثقة واطمئنان ، أن نكون في عين الله ، وفي عيون الناس الذين يهيمون بالثقـافة النافعـة ، ويثمنون العمـل الصالح .. كما نرجو أن يتقبل الاستاذان حكمت توماشي وعبدالمنعم محمد صالح ثناءنا وشكرنا ثواباً على ما بذلا من عون ومعاضدة في سبيل هـذا الـكتاب : ذاك بخدماته التي بلوناها منـه في مكتبة المتحف العراقي ، وهذا بذوقه الفني الذي سخره في تقويم الصور الوثائقية على أكمل وجه .

وثالثة الاثافي ، في معرض الثناء الصادق ، هو الاخ الفنان ناظم رمزي الذي وقف « مؤسسة رمزي » على تسجيل صور الكتاب بالاوفسـت في أحسن تقـويم ، وعلى طراز واضـح بزّ اصـولها الفوتوغرافية روعة وبهجة .

والله ولي التوفيق

المؤلفان

بغـــداد

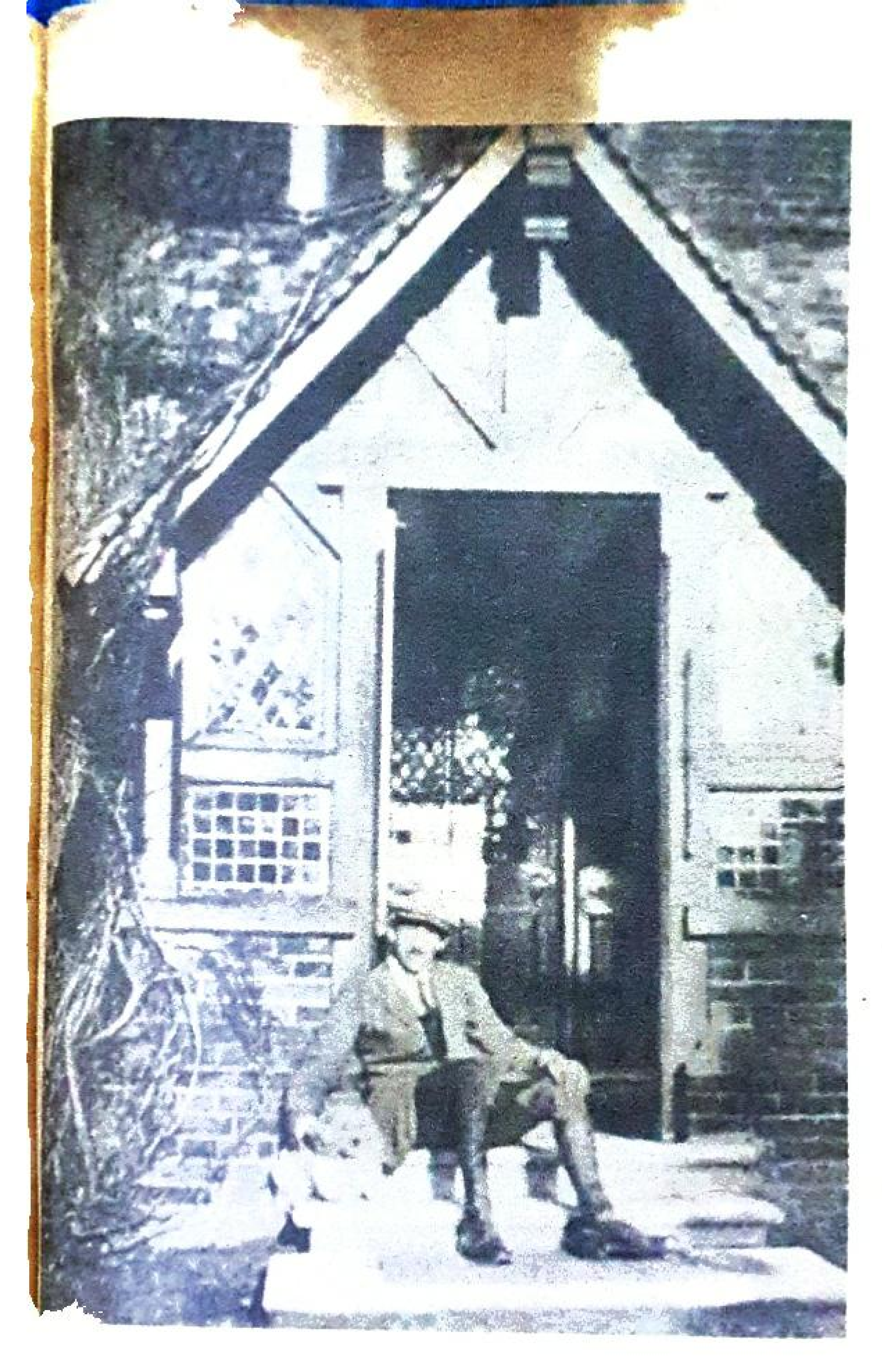
١ شباط ١٩٦٨

لجمن

خادم الأمبراطورية البريطانية



الكولونيل لجمن



الكولونيل لجمن في مدخل بيته بمدينة بترسفيلد في انكلترا

نشــأته

في مدينة بترسفيلد الريفية بانكلترا ، وعلى الطريق المتجه نحو الشمال ، خلال جيلدفورد ، الى لندن ينتصب بيت محفوف بالورد والاشجار .

وفي هذا البيت فرح الدكتور أ. دبليو . لجمن ، في السابع والعشرين من تموز سنة ١٨٨٠ بولادة طفل اتفق أبواه على تسميته باسم جيرالد إيفلين .

وقد قُدِّرَ لهذا الطفل أن يموت حاكماً سياسياً برصاص **الثورة العراقية الكبرى في خان النقطة بين بغـداد والفلوجة ظهر** اليوم الثاني عشر من شهر آب سنة ١٩٢٠ .

ويزعم صديقه الميجر براي أن والد لجمن كان ذا نزعة علمية وميل شديد الى الموسيقى ، وأن امه كانت على جانب كبير من الجمال والفتنة والدماثة ، وكانت مولعة بالنشاط الاجتماعي والتسلية .

ويوم ولد لجمن كانت له ثلاث أخوات هن : مابل وملدريد وجانيت ، وشقيقان ماتا في مرحلة الطفولة .

ثقافتـه

كان الطفل لجمن يحب الفراشات والطيور والحشرات ، ويرقب حياتها وسلوكها بعين فاحصة • وكانت اخته جانيت تغذي هواه في دراسة الطبيعة •

وفي السابعة من عمره استقام له ذوق فريد في الاطعمة ، وأحب الموسيقى حباً جماً ، ورخم صوته فكان يؤدي أروع الأغاني •

واشتهر في صباه أبرزَ متحدث في الموضوعات العامة •• ولكنه كان يتوق الى حياة الجندية •

وحين التحق ، في السابعة من عمره ، بمدرسة افنجديان الخصوصية قرب بريتون أعجبته الدراسة ، ولكنه ضجر بعد أيام قليلة ، وظل مرغماً فيها حتى ذهب الى مدرسة جارترهاوس عام ١٨٩٣ حيث تعثر في دروسه لينطلق ، بعد ذلك ، الى الكلية العسكرية الملكية (ساندهرست) التي اجتازها بتفوق ونجاح • وقد سجل في هذه الكلية قيادته المبكرة لمختلف النشاطات والفعاليات ، وغادرها في التاسعة

عشرة من عمره أجرأ مغامر   يب الانكليز ، وأشجع ضابط في فوج سوسيكس الملكي .

وقد وصفته وزارة الحربية الانكليزية ، بعد مصرعه في خان النقطة ، بانه رجل أقوى من الصعاب ، وانه يستطيع السفر والعيش دونما شوق الى وسائل الراحة التي وفرتها للانسان حضارة الغرب، وانه كان معتداً بثقافته الاوربية التي ساعدته على وزن الحضـــارة الاجنبية بميزان دقيق ، وكان قادراً على مشاركة القبائل مشـــاركة وجدانية في تقاليدها الثابتة ، وعلى العيش عيشة عربية بالرغم من تشبثه بتفكيره الخاص .

مغامراته

أبحر لجمن في ١٠ شباط ١٩٠٠ من ميناء ساوثمبتون بانكلترا ليكون في ١٩ شباط بمالطا ، وفي ٢٠ مارت بمدينة الكاب ٠

وقضى في جنوب أفريقيا سنتين ونصف السنة اجتاز خلالها مرحلة اليفاعة الى الشباب بين دوي المدافع هناك ٠ ثم عاد الى بلاده أشهر رام ، وأمهر فارس ، وألمع راقص ٠

وفي سنة ١٩٠٣ التحق بفوجه مسافراً معه الى الهند حيث استقر في سيتابور بالبنغال ٠ ومن هناك رحل الى التبت عام ١٩٠٥ توطيداً لصالح امبراطورية حكامه ، ثم عاد الى كشمير ٠ ٠ حتى اذا حلت سنة ١٩٠٧ رحل الى البحرين والمحمرة ، ومكث في البصرة يستطلع شؤون العراق ، ويدرس واقعه الاجتماعي والسياسي يومذاك ٠ ومن البصرة حملته إحدى سفن شركة لنج الى بغداد ، وقد احتفظت ذاكرته الوقادة بما شاهد على ضفتي الطريق النهري الطويل ٠

وخلال وجوده في بغداد ركب الترامواي الرابض في الكرخ راحلاً الى الكاظمية ٠ وفي هذه المدينة حل ضيفاً في بيت سائح

هندي • ثم رجع الى بغداد ، وعبر نهر دجلة بقفة(١) كانت راسية بجوار الجسر العائم ، وبعد أيام أخذ طريقه الى حلب مع الدكتور إليوت ، ومرّ بالفلوجة حيث قضى ليلته في خانها • وفي صباح اليوم التالي عبر نهر الفرات بالشختور(٢) ، وزار هيت والرمادي في ٦ مارت ١٩٠٧ ، وعندما استقر في حديثة سجلت كاميرته في خان فهمي صورة لفتاة جميلة • وأخيراً وصل مدينة عانة •

وفي الخريف صحب احدى قوافل الحجاج في طريقه الى القائم، وزار البو كمال فلصلاحية فالميادين • وفي ١٦ مارت ألقى عصاه في دير الزور وقد أثارت اعجابه خاناتها النظيفة وأسواقها العامرة • وفي هذه المدينة دعاه طبيب تركي الى تناول القهوة والبيرة في بيته فلبى الدعوة مصحوباً بالدكتور إليوت رفيق سفره •

وفي ٢٤ مارت وصل حلب ، واستراح هناك في أوتيل العزيزية• وبعد ثلاثة أيام كان في طريقه الى دمشق ، وعندما دخلها نزل في أوتيل فكتوريا • وفي ٢٨ مارت سافر الى بيروت وتعمد أن يهبط اوتيل الألمان ليقف على دخائلهم • ومن بيروت حملته الباخرة پرنس عباس — وهي احدى بواخر الخط الخديوي — الى القسطنطينية ، ومنها عاد — عن طريق أوربا — الى بلاده •

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٠٧ رجع الى الهند ، حيث تعلم ، بعد سنتين ، اللغة العربية على يد معلم من أهل كلكتا يدعى عزو ،

---

(١) من وسائل النقل التي استعملها البغداديون بكثرة ، وهي دائرية الشكل عميقة ، قوامها حلفاء مخروزة بخيوط ، ويطلى ظاهرها بالقار الاسود ، وهي أنواع مختلفة الحجوم •

(٢) وسيلة نقل شاع استعمالها في دجلة والفرات ، وكانت تصنع بادئ الامر من ألواح الخشب ثم استعيض عنها بصفائح الحديد ، وهي تكاد تشبه متوازي المستطيلات ولكن بلا سقف •

يؤدي امتحانه فيها بنجاح ، كما تنف شيئاً غير يسير من تاريخ الأدب العربي .

وفي ١٣ تشرين الثاني تحرك من كراچي إلى الخليج العربي ، فزار الكويت ، وكان في المحمرة بتاريخ ١٨ تشرين الثاني حيث رحّب به العقيد ارنولد ولسن ، وفيها واصل دراسة اللغة العربية ، وزار الشيخ خزعل ، ثم ذهب الى البصرة ، ونزل ضيفاً على بيت ماكي بدعوة من السادة ستريك وشركائه . ومكث في البصرة حتى ٢٦ تشرين الثاني يتعلم اللغة العربية باشراف معلم من أهل بغداد .

وفي ٢ كانون الاول استقر في بغداد حيث قابل ، لاول مرة ، المهندس المعروف السير وليم ويلكوكس ، وواصل درس اللغة العربية في بيت المعلم حاجي عجم بوصية من عزيز عزو شقيق معلمه الكلكتوى الذي عرفه في الهند . ثم نهض بتعليمه ، بعد ذلك ، عزيز عزو (١) نفسه وشيخ من الملالي يدعى سيّد رسن .

وفي الساعة ٣٫٤٥ من بعد ظهر يوم ١٤ كانون الاول ظهر لچمن في مدينة كربلاء ، وهناك احتفى به قنصل بريطانيا محمود حسن على بعد ثمانية أميال من المدينة ، واستضافه الامير الفارسي مجيد خان في بيته ، وحضر هذه الدعوة المتصرف جلال بك . وشاء لچمن أن يتوغل في طريق النجف مسافة ميلين ليشاهد مضارب بني حسن .

وفي ١٨ كانون الاول زار النجف ونزل ضيفاً في بيت القائمقام ، ثم واصل رحلته الى الكوفة ، وبعد ثلاثة أيام شوهد في الكفل . ومرّ بالحلة ، ومن هنا صحبه عزرا بن مناحيم دانيال الى بابل ، ثم رجعا سوية الى الحلة حيث تفقدا مستشفاها القذر ومدرسة إليانس الاسرائيلية . وبعد ذلك رجع الى المسيب ، واستقر في بغداد .

ولم يسجل عام ١٩١٠ إلا القليل من نشاط لچمن الاستطلاعي المشبوه في بغداد ، فقد زار بعض المحلات بصحبة داود بك الداغستاني بن محمد باشا والي الموصل ، واعتاد خلال هذه السنة أن يرتدي

(١) توفي هذا الرجل في بغداد سنة ١٩١٤ .

العباءة العربية . وذهب في بعض الايام الى كربلاء والكاظمية وفي هذه المدينة مكث يوماً واحداً ، ثم غادرها في ساعة متاخرة من الليل – وهي تغط في نومها – وعبر نهر الخر ليجد أحد الاعراب ينتظره في الجانب الآخر ومعه حصان ، فركبه لچمن متوجهاً الى بعض القبائل التي كانت تنتظر زيارته ، ثم ذهب من هناك الى قناة الصقلاوية .

وشوهد ، بعد ايام ، يجتاز الكاظمية برفقه أحد الشيوخ الى الطريق الصحراوي .. ثم عاد الى المسيب ، من جديد ، ميمماً شطر بغداد . وفي هذه المدينة حامت شكوك الشرطة على سلوكه ، فكمنت له في حديقة البيت الذي اعتاد النزول فيه .. ولكنه أفلت منها بمساعدة معلمه عزيز عزو ، وكان ذلك في ٢٦ كانون الثاني ١٩١٠ .

ومن بغداد كتب رسالة الى امه بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩١٠ ، ثم سافر الى الموصل ، فدخلها في ١٠ مايس بعد ان تخلص من رقابة رجلين من الجندرمة[١] كانا يقتفيان أثره في الطريق . وقد اقتصر طعامه خلال هذه الرحلة على الخبز والمشمش .

وعبر في اليوم الاول من حزيران جبل حمرين ، وبات ليلته في بيت مدير قرية قرەتپه . وفي اليوم التالي وصل كفري ، وهناك أذهله جمال فتاة لم ير في حياته أطغى منه .

وأشار اليوم الخامس من حزيران الى وجود لچمن في كركوك . وعبر في اليوم التالي الزاب الصغير متوجهاً الى التون كوبري . وفي ٧ حزيران دخل اربيل ، وعبر الزاب الكبير بمساعدة رجل كان معه على موعد .

ومكث لچمن في الموصل ثمانية أيام . وفي ١٧ حزيران عبر الزاب الكبير ، مرة اخرى ، ليقضي ليله في قرية دربند الكردية .

وذات يوم ، في صميم الصيف ، حلّ في راوندوز . ومن هذه المدينة سار بمحاذاة الحدود الفارسية عابراً الى المناطق

---

(١) الدرك .

الكردية في ايران ، وقد حدث ذلك في ٢٨ حزيران . ومن مدينة وان في تركيا كتب رسالة الى أهله بتاريخ ١٦ تموز أنبأهم فيها انه من أعضاء البعثة الانكليزية .

وفي ٣٠ تموز كان في بدليس ، وتوغل في ٦ آب في ديار بكر ، وبعد ثمانية أيام وصل حلب وحلّ في اوتيل پالاس . وفي ١٦ آب ركب القطار من حلب متوجهاً الى دمشق ، وزار القدس ، ورجع الى دمشق في ٩ أيلول . وتاقت نفسه الى بغداد ، فكان في ٤ تشرين الاول في مدينة كبيسة . وبعد يومين شوهد في بغداد .

وحين تفاقم وباء الكوليرا في بغداد حمله مركب « المجيدية » الى البصرة في ١٨ تشرين الاول . وبعد عشرة ايام دخل البصرة .

ومما هو جدير بالتنويه ، في سياق هذه الجولة الطويلة ، أن لجمن خلال سنة ١٩١٠ غادر كربلاء بُعيد ٢٦ كانون الثاني متوغلاً في الصحراء مسافة ٧٥٠ ميلاً ، ثم رجع الى بغداد في ١٠ نيسان ، وتركها في ٢٩ مايس الى كردستان والاناضول قاطعاً ١٣٠٠ ميل على حصان أحياناً وعلى جمل أحياناً اخرى في طريقه الى حلب فدخلها في ١٤ آب ، ومنها سافر الى فلسطين .

وظل هناك وقتاً طويلاً يكتب التقارير عما رآه في جولاته الى قيادة الجيش الهندي ومكتب الاستخبارات ، ويحرر المقالات لمجلة الجمعية الجغرافية الملكية ومجلة بلاك وود ، ولجريدة التايمس اللندنية .

وعاد الى بلاده ، وفي ١٧ تشرين الاول ١٩١٢ غادرها الى دمشق ، فوصلها في ٢٥ منه . وبين تشرين الثاني وكانون الاول كان يتجول في سوريا وجزيرة العرب . وشوهد سنة ١٩١٣ في الهند من جديد . وفي ١٦ تشرين الاول أبحر من بمباي ليكون في البصرة في ١١ مارت ١٩١٥ .

وفي مدينة البصرة كان يتلقى توجيهات الجنرال أ.ا. بين على الصعيد العسكري ، ويخدم دائرة الاستخبارات البريطانية متعاوناً مع

السير برسي كوكس والكولونيل ويلسن والمستر جون فيلبي والكولونيل مورفي • وكان من بين مساعديه في هذه المهمة الكابتن جريبون والكابتن كامبل تومبسون عالم الآشوريات المعروف والمستشرق فان ايس من البعثة الامريكية في البصرة والمستر جريجسون من قوة البوليس وغيرهم •

ولم يكن لجمن يومذاك موظفاً في القسم السياسي وانما كان أنشط ضابط في استخبارات الجيش البريطاني •

وفي ٦ نيسان ١٩١٥ اُرسل الى الشعيبة بعد احتلالها موظفاً سياسياً ، وفي ١٥ من هذا الشهر أخذ يراسل اخته مابيل ، وهو يخوض المعركة تلو المعركة مع الاتراك في جنوب العراق ، مؤكداً لها انه لم يفكر في أن يصبح ، يوماً من الايام ، دبلوماسياً ، وانه أحب إحدى يهوديات البصرة لملائكية وجهها وحزنه •

وفي ٢٢ نيسان عاد الى البصرة ليتلقى بعض الأوامر المتعلقة بادارة الشعيبة •

وفي ١٠ تشرين الاول كان في العزيزية بعد هزيمة الجيش التركي • ومن بعض شيوخ هذه المنطقة اشترى للجيش الانكليزي ١٠٠٠٠ رأس من الماشية بمبلغ ألف باون استرليني • وشوهد في العمارة في ٢٧ كانون الاول ١٩١٥ • ومما يجب أن لا يُغفل أنه استطاع أن ينجو من حصار الكوت مع فصيلة من الجنود الخيالة قبيل عملية التطويق •

واشترك لجمن في جميع المعارك الضارية بين الانكليز والجيش التركي من جنوب العراق حتى الموصل ، وقد أسهم في معركة سلمان باك الفاجعة حيث فقد حصانه في غمارها •

في البادية

أصبح لجمن ، بعد توغل الجيش الانكليزي في العراق ، حاكماً سياسياً في البادية الغربية : يتولى شؤونها ، ويسوس قبائلها ، ويصون مصالح الاستعمار الوافد • وقد مارس هذه المهمة الشاقة في ٤ مارت سنة ١٩١٧ •

وسافر الى القاهرة ، وهو في هذا المركز ، في ٢٤ نيسان لينسج مع الناسجين ، هناك ، مؤامرة الغرب على الوطن العربي باشراف المستر مارك سايكس والمسيو بيكو • وكان لجمن ، فوق ذلك ، ينزل في فندق شبرد حيث كان يتعلم اصول اللهجة العامية المصرية •

وفي ٣٠ نيسان ذهب الى ساحل البحر الأحمر لقضاء عشرة أيام هناك ، وبعد عودته الى القاهرة أشار عليه الاطباء بالتزام الراحة في المستشفى اسبوعاً كاملاً •• ولكنه رفض هذه الوصية قائلاً : ان الراحة في أيام الحرب ترف لا ضرورة له •

ومكث في القاهرة أيضاً خلال المدة الواقعة بين ١٠ ـ ٢٠ مايس ، ثم غادرها ليكون في عدن بعد أربعة أيام • ومن هناك أخذ طريقه الى الهند حيث قضى فيها مدة قصيرة عاد بعدها الى بغداد في مطلع شهر تموز ، **وخلال ذلك عثر على حصانه الذي فقده في معركة سلمان پاك •**

ثم استقر في مدينـة كربلاء من تموز حتى ١١ تشـرين الثاني سنه ١٩١٨ . والذي يلفت النظر أنه خلال ستة شهور لم يزر بيته في كربلاء إلا ست مرات ، اذ كان يقضي في بغداد أياماً معدودات ليستهلك أيامه الاخرى في البادية .

ولقد ارتكب لجمن ، هو الحاكم بأمر أسياده في الجزيرة ، حماقات كان لها أسوأ الأصداء في نفوس العراقيين . ففي تشرين الأول من سنة ١٩١٧ حدث نقص في المواد الغذائية اضطربت لـه محلياً حياتنا الاقتصادية ، ولقد زاد الطين بلة مجيء أحد شيوخ العشائر الرحـّل من أذناب الانكليز في بادية الشام .. الى النجف يحمـل كتاباً من العقيد لجمن الى حميد خان [ابن عم آغا خان وكان أحد وكلاء بريطانيا في النجف] يوصيه فيه بمساعدة الشيخ في اكتيـال مقدار كبير من الحبوب ، فسمح للشيخ بشراء ما يسد حاجته ، وشاع هذا الخبر ، فجنحت أسعار السوق الى الارتفاع . ومما كدر صفو النجف أن أحد شيوخ المشايخ من موالي الانكليز بعث في اليوم الثاني ١٢٠٠ بعير لنقل ما سوف يشتريه من حبوب النجف بترخيص من لجمن .. وهنا لم يبق في قوس الصبر منزع ، فاحتج أهل النجف ، وتصيدوا الأعراب الوافدين .

وفي ١ ــ ٢ تشرين الثاني خرجوا ، في مظاهرة ، الى مضارب مبعوث لجمن ، فاندلع بينهم شجار تبودلت فيه الطلقات ، وقتل بعير ، ونهبت ثلاث بندقيات وأشياء اخرى . ولم يستطع حميد خان الذي لم تدعمه أية قوة أن يعالج الموقف .

ومن سيئات لجمن في البادية أنه حرّض احدى القبائل على مصادرة بضائع القوافل التي كانت تتجه الى دمشق أو حائل .

في الموصل

رافق لجمن الحملة الانكليزية ، خلال الحرب الاولى ، على مدينة الموصل ، واقترب منها مع قوات الحملة في ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ • وركب في صباح هذا اليوم سيارته الدودج الى داخل المدينة يحمل رسالة خاصة من الجنرال كاسلز الى القائد التركي علي احسان باشا ، ولكنه لم يجده في المكان الذي اعتقد انه فيه ، وتناهى اليه أن هذا القائد يلوذ ببعض التلال الواقعة في شمال الموصل ، فذهب اليه ، وعاد به في صباح ٣ تشرين الثاني الى الجنرال كاسلز الذي اقتحم المدينة مبكراً • وتم الاتفاق على انسحاب الجيوش التركية في ٥ تشرين الثاني مع قائدها علي احسان من الموصل الى نصيبين (١) ، وأعلن تسليم المدينة بعد يومين ، وفي اليوم الثالث عشر غادرها نوري بك نائب الوالي ، ومنذئذ أصبح العقيد لجمن حاكم الموصل السياسي •

وفي نهاية تشرين الثاني أتم لجمن زيارة تلعفر وزاخو والعمادية ودهوك وبيره‌كبرا وعقرة ، وقد وجد العَلَم التركي مرفوعاً في جميع

---

(١) تعتقد الآنسة بيل ان علي احسان باشا ترك الموصل في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ ليتولى لجمن منصب الحاكم السياسي •

هذه الاماكن ، كما وجد في اكثرها جنوداً وموظفين من الاتراك ، فعزلهم عن السلطة وأنزل علمهم • ثم عيّن معاوني الحكام السياسيين في جميع المناطق التي فرغت القوات الانكليزية من احتلالها • وبعد ذلك انجز التنظيمات التمهيدية ، وبعث الضباط شرقاً وشمالاً الى عقرة وزاخو للاتصال بالاكراد تاميناً للسلم في تلك المناطق ، ثم استعمل التاريخ الميلادي بدلاً من الهجري •

وعندما كان لجمن حاكماً في الموصل قصد في يوم من أيام حزيران ١٩١٩ بلدة زاخو ومعه عشرة أفراد من مرتزقة الاكراد ، وكان قد أخذ معه كمية كبيرة من النقود الذهبية والفضية والاوراق النقدية لتوزيعها على بعض العشائر هناك لضمان ولائهم ، وحين وصل مضيق زاخو تصدى له بعض الاكراد المسلحين وقبضوا عليه وعلى رجاله وهم لا يعرفونه ، وهمّوا بقتله ولكنه استغفرهم مدعياً انه رجل بغدادي ذو عائلة اضطرته إعاشة أفرادها الى خدمة الانكليز ، وانهم أرسلوه الى الموصل فزاخو مع رفاقه المأجورين حاملاً الى حاكمها هذه النقود ، ثم التمس منهم اطلاق سراحه والاكتفاء بمصادرة الدواب والمسكوكات •• وعندئذ رقوا لحاله ، ولم يقتلوه وقنعوا بمسدسه وقافلته وأحماله •

وأزعجت حكم لجمن في الموصل حوادث ذات خطورة ، في مقدمتها الحركة الوطنية التي أذكت أوارها جمعية العَلَم [1] السرية في الموصل ثم جمعية العهد ، التي أثارت حفيظة الرأي العام ورصاصه على حكمه ، وأحبطت مسعاه في اذلال الشعب في شمال الوطن • ومن تلك

---

(١) تأسست في الموصل ، أوائل سنة ١٩١٤ ، وتقمصت جمعية العهد العراقي في ٢٤ مايس سنة ١٩١٩ بعد مخابرات واتصالات بمركزها العام في دمشق ، وكان يرأسها الاستاذ محمد رؤوف الغلامي •

الحوادث مصارع بعض الحكام السياسيين في أقضية الموصل ، وثورات الاكراد في أوكارهم الجبلية . وقد وضع هذا الواقع لجمن في مواجهة أيام سود ضاعف لها الجهد وأيقظ المثابرة في العلاج الحاسم . وأدرك لجمن أن هذا الواقع قد يفضي به في نهاية الأمر الى التخبط الاداري والسياسي .

ومن هذه الثورات في شمال الوطن أيام لجمن ثورة عشيرة الكويان بمنطقة زاخو تحت قيادة حسام آغا التي نشبت بعد مصرع الكابتن بيرسن في ٤ نيسان ١٩١٩ ، وثورة العمادية التي أُستُهِلَّت بمقتل الكابتن ويلي (حاكم العمادية) وضابط الشرطة ماكدونالد والعريف تروب وغيرهم ، وفي ٨ – ٩ آب أباد رجال هذه الثورة لواء كاملاً من القوة الانكليزية . أما معارك وادي ملا عرب وقلعة الشعبانية فقد أسفرت ، في قضاء زاخو ، عن اسقاط طائرة انكليزية . وأقام لجمن وزناً كبيراً لثورة بامرني بذهابه الى منطقتها ليشرف على الحركات الحربية بنفسه ، وكان الرصاص ينهال عليه من الثائرين ، فاصيب حصانه بطلق ناري فنفق .. ولكن لجمن لم يمت وانما دخل بامرني منتصراً وهو يركب حصاناً آخر .

استغرق حكم لجمن في الموصل سنة كاملة لم يغمض له فيه جفن حتى فارق الموصل(١) . وقد جرى توديعه رسمياً في ١٢ تشرين الاول ١٩١٩ ليستقبل خلفه الكولونيل بيل في حكم الموصل السياسي .

---

(١) إلى أين ؟ .. رواية تقول انه نقل الى الدليم ، ويعتقد المرحوم عبدالمنعم الغلامي انه نقل الى الكويت .. والواقع يخالف الرأيين ، وسيرى القاريء جلية الأمر بعد قليل .

في لواء الدليم

وفي خضم هذه الحودث عاد لجمن الى بلاده ، ليقضي أواخر صيف ١٩١٩ في بيته بمدينة بترسفيلد ، وقد رافقه في هذه الاجازة خادمه « حسن » (١) وسيارته الخاصة التي رحلت معه من الهافر الى بغداد . وفي بيته لازم الفراش مريضاً .. ولكنه في أواسط كانون الثاني ١٩٢٠ غادر الجزر البريطانية ليكون في ميناء نابولي بايطاليا يوم ٢٦ من الشهر المذكور . ثم ترك نابولي ، بعد يومين ، في زورق ، فوصل الاسكندرية في اليوم الثاني من شباط .

وفي غضون الثورة العراقية ، في مارت ١٩٢٠ ، كان لجمن في بغداد ، وانتابه ـ في هذه المرة ، شعور مبهم بأنه في طريق الموت .

وارسله السير برسي كوكس الى الرمادي حاكماً سياسياً ، وحين تسلم هذا المنصب فوجيء بما دعاه الى الحذر والحيطة ، وطواه على جزع .. ولا سيما بعد أن انقذ الزعيم العربي رمضان الشلاش دير الزور من براثن الانكليز في ١١ كانون الاول ١٩١٩ وفق خطة حكيمة صاغتها له جمعية العهد العراقي في سوريا .

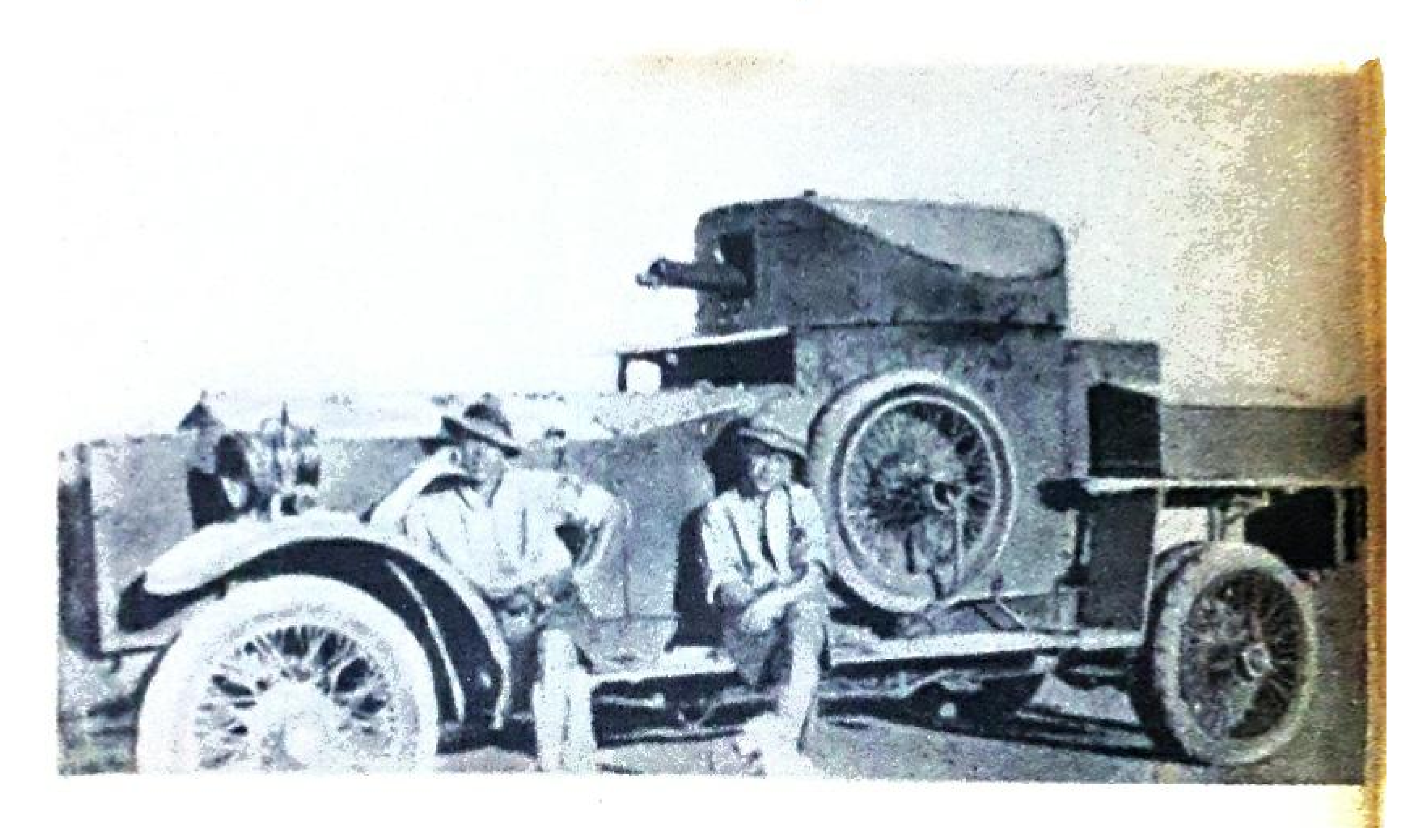
---

(١) لقد قتل هذا الخادم في خان النقطة مع سيده لجمن ، واختلف المؤرخون في جنسيته ، وسنقف على حقيقته في فصل قادم .

وبعد تعيين السيد مولود مخلص حاكماً عسكرياً على المنطقة المحررة جعلها العراقيون منطلقاً لجهادهم المقدس ضد الانكليز عن طريق الميادين والبو كمال وجنوبي دير الزور على الفرات الاعلى ، وعن طريق الجزيره غربي الموصل • وقد نجم عن هذا الكفاح البطولي ما أقض مضجع لجمن في تلك المناطق • وبلغ هذا المد الثوري ذروته بعد اندلاع ثورة الرميثة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ •• هذه الثورة الكاسحة التي استغرقت العراق كله ، واجتاحت منطقة نفوذ لجمن في لواء الدليم •

وذات يوم سافر لجمن من الرمادي الى البو كمال ، وفي ١٦ مارت ١٩٢٠ بعث من هناك برسالة الى أهله يخبرهم فيها بجمال العشب الاخضر يراه المرء من الجو على متن طائرة ، وبأن خادمه حسن سيأتي خلفه في طائرة اخرى ، وانه سيعود الى الرمادي بعد أن يقبض على الاعراب الذين قتلوا ستة جنود بريطانيين في غضون عشرة أيام ، ولم يكتم عن أهله أن حسن الخادم يتحدث معه أحياناً باللغة الهندستانية •

وفي نهاية مارت اتخذ من منطقة الصلاحية مركزاً لنشاطه ضد الثوار العراقيين • وفي ١١ آب عاد الى بغداد ، وقد تناول ـ في آخر ليلة عاشها في بلادنا ـ طعام عشائه في فندق مود حيث اجتمع بالآنسة بيل ، وتجاذب معها ـ على مائدة واحدة ـ آخر حديث في دنياه •• ليكون ظهر اليوم التالي على موعد مع الموت في خان النقطة•



سيارة لجمن المعروفة باسم « طالبة الثأر »



سيارة لجمن المعروفة باسم « المراوغة » ويبدو لجمن فيها يقرأ احدى الجرائد

جنازة لجمن تأخذ طريقها من القشلة ببغداد الى المقبرة



لجمن في مرقده الأخير

أخلاقه

أجمع مؤرخو لجمن على انه كان ناشطاً جريئاً مغامراً ، وانه كان يستهين بحياته في أشد المواقف حراجة وخطورة ، ويدس أنفه فيما تفه وعظم من الشؤون ، ويهيمن على دفة الادارة في مناطق نفوذه.

وكان ذا مزاج شاذ يقوده في أغلب الاحوال الى التهور دون أن يميز بين خطأ وصواب . ويبدو أن أعصابه الثائرة كانت تحدد سلوكه في المواقف الحرجة فهو لذلك لم يقم وزناً للاناة ولا للصبر .

وكان شرس الطباع غير هيّاب ولا وجل ، وقد اعتاد أن يبسط سلطانه على رقعة شاسعة من الديار العشائرية وحيداً بلا نجدة ليبلو قواه بعزم جامح عنيد .

وهو في نظر المؤرخين الانكليز قد ضرب بقسط أوفر في سياسة بريطانيا على الصعيد العربي أكثر من أي شخص آخر . وقد دحض **هذا** الاعتقاد السياسي الاميركي المعروف **فيليب** آيرلاند ذاهباً الى أن ذلك لا يمكن أن يصدق بسهولة ، لأنه وإن كان ذا مواهب عظيمة أو أحد حَفَظَة الأمن الممتازين في المناطق العشائرية ولكنه كان دون الابداع والتقدير الايجابي في سياسة بلاد العرب الغربية ..

وهو ، على أية حال ، كان يقود الغزوات كأمهر شيخ من شيوخ القبائل الضاربة في البادية .

وكان الى جانب ذلك ضحية شوق موصول الى بغداد ، وحنين دائم الى الحياة في جوّها . ولقد اعترف المؤرخون الانكليز بهـذه النزوة وسجلوها مأثرةً من مآثره .. وهذه النزوة تفسر لنا عزوفه عن بلاده وبقاءه دائماً في بغداد أو في قرى وقصبات ولايتها .. وقد شاء الله أن يُدفن فيها !!

وكان ، أيضاً ، ذا طاقـة على الصبر والاحتمال . وقد أخبرنا الاستاذ ميخائيل عواد بأنه ، خلال زيارته الاولى لمدينة الموصل ، اشتغل أجيراً في محل الحدّاد الياس اللوس(والـد الباحث الطيوري بشير اللوس) .. وظل يشتغل عنده نافخاً في كورة الحدادة مدة طويلة سهّلت له الوقوف على أسماء الشخصيات الموصلية ومشاكلهم العـامة والخاصة .

ضارى

الفِـدائى المؤمِن

عشيرته

ينتمي الشيخ ضاري الى قبيلة زوبع العربيـة ، وكان رئيسها بجدارة . وزوبع هو ابن محمد الحريث الذي استقام غصناً في دوحة قبيلة طيء القحطانية . وتسكن زوبع بين بغداد والفلوجة على بعـد حوالي ميلين جنوب مصب قناة أبي غريب ، كما يسكن بعض أفرادها في منطقة اليوسفية .

ومن فروع زوبع وأفخاذها : حيوات ، ورئيسها ضاري [(١)] ، وأفرادها ينتشرون في جدول أبي غريب والضفة اليسرى من الفرات جنوب رأس الرضوانية ، ويمتدون شرقاً الى الصقلاوية شمال النقطة، وكان عددهم ـ قبل الحرب العالمية الاولى ـ في حدود مائتي رجل [(٢)]. وادعى جواسيس الانكليز في تقاريرهم السرية أن زوبع كانت قبل

---

(١) أما في أوســاط زوبع فالمعروف ان ضــاري من عشيرة الحمّام إحدى فروع زوبع التي كان بكر الحمام رئيسها عام ١٧٥٦ .

(٢) اخبرنا الحاج سليمان الضاري أن عدد زوبع غير معروف، لانهم موزعون بين العراق وســوريا والحجـاز . وقـد قدّر عددهم بعشرين الف نسمة .

على أن يكون شيخهم وشيخ زوبع جزاء للخدمات التي بذلها لأبيهم ظاهر .. وهكذا ، ساد عشيرته أمردا » .

ومما يؤثر عن ضاري أنه ولد سنة ١٨٦٨ [١] ، وانه تزوج بسبع نساء ترك بعضهن لأنهن عواقر . أما الباقيات فكان له منهن : خميس وسليمان وحميد وحماد وأحمد وحميدي وعبدالكريم وفرحان .

وكان ضاري مولعاً باخبار العرب القدامى . وقد اهدى له السيد محمود شكري الآلوسي أكثر مؤلفاته ، وكان كتابه (بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب) أحب الكتب لدى الشيخ ضاري .. حتى أنه كان يكلف كاتبه الملا مناور بقراءة بعض أبوابه على مسامع الجالسين في مضيفه .

ومن بين الكتب التي استأثرت باهتمام ضاري كتاب (المستطرف) للابشيهي ، فكان ايضاً ينتقي منه الأنفع ليتلى على مسامع القوم في مجلسه الخاص .

وكان مضيفه أكرم مضيف، وقد حدثنا بعض الثقات من معاصريه بأنه كان ينحر يومياً بعيراً وعدداً من الاغنام تكريماً لضيوفه وزائريه .

---

(١) وفقاً للرواية العربية ، وسنة ١٨٤٨ وفقاً للرواية الانكليزية الواردة في مضمون التقرير الطبي الذي نسجه الاطباء الانكليز تبريراً لموته !!

موقفه من الغزو الاجنبي

عالج التقرير السري لدائرة الاستخبارات البريطانية الموقف العشائري في منطقة الدليم بعد احتلال بغداد ، فأشار الى أصدقاء الانكليز من رؤساء بعض العشائر ، وسكت عن الشيخ ضاري .. بلا علّة . ويعتبر هذا السكوت في مصلحة ضاري وسمعته المحمودة ، لأنه عرف بمناوأته الصريحة لقوات الاحتلال . وقد أكد هذه الحقيقة التقرير السري ذاته حين ذكر : ان عبدالعزيز عندما جاء الى العراق في تشرين الأول سنة ١٩١٧ للتفتيش عن المراعي والأطعمة أسرع أفراد عشيرته الى (المنطقـة) جنوب عقرقوف ليشنوا هجوماً على عـدد من شيوخ عشيرة زوبع المتوطنة الذين كانوا في ذلك الوقت ضدنا .

وتدل التقارير التي كانت في حوزة لچمن ، بعد مقتله ، على ان الشيخ ضاري كان معروفاً بنزعته العدائية للانكليز في العهد العثماني وفي زمن الاحتلال ، وأنه لم يتقرب الى الحكام السياسيين في يوم من الأيام ، ولم يتزلف اليهم . وهذا يفيد أن الانكليز أنفسهم يعرفون انه كان خصمهم العنيد . فقـد ركب ، ذات يوم ، حصـانه .. ومعـه أخوه شلال وابنه سليمان الى جسر قرارة في جنوب بغداد ، واجتمع بالقائد التركي نور الدين في خيمته الخاصة ليعدا خطة الهجوم على

الانكليز • ومن هناك صرف شلال وسليمان الى بغداد بعد أن كلفهما بتموين المحاربين •

واشترك ضاري في معارك عديدة ضد الانكليز ، وأشرف على الأسرى من جنودهم بعد حصار الكوت ، واسهم في معركة اصطبلات الطاحنة بين الأتراك والانكليز •

وعندما سقطت بغداد رحل مع الراحلين ليعصم نفسه من انتقام الانكليز • ولاذ بالرمادي حيث اتصل بالقائد التركي أحمد بك أوراق ، واتفقا على النزول بجانب الجزيرة ، وهناك تعاون مع الشيخ حردان على مناهضة جيوش الاحتلال •

وعندما احتل الانكليز مدينة الفلوجة وتوجهت جيوشهم نحو الرمادي نشبت هناك معركة بين الفريقين عادت على الانكليز بخسائر فادحة في الأرواح ، وأقسرتهم على الهزيمة بعد عملية التفافية حاولها سليمان بن ضاري وجماعة من الفدائيين يوم عبروا بالشخاتير نهر الفرات الى الجانب الآخر •

وقام تعاون بين ضاري وقائد الجنود الخيّالة منصور بك (وهو تونسي الأصل) • وفي شامية الرمادي كان منصور يراقب حركات الانكليز بالمنظار ليخبر الثوار بنشاطهم ، وظلوا ليلتهم هناك • وفي الصباح دخلوا الرمادي ، فوجدوا بيت القائد مهدوماً بقنبلة قتلت حصانين أيضاً ، كما وجدوا مواقع القتال على طول الطريق مزروعة بجثث الانكليز ومرتزقة مستعمراتهم •

وحين انطلق الانكليز الى الرمادي فاتحين تعقبهم الزوبعيون ولكنهم وصلوا متأخرين •• إذ سقطت الرمادي ، فقذف ضاري بنفسه في النهر سابحاً الى الجانب الآخر حيث ركب فرسه وهرب على وجهه •

واتصل الانكليز ، بعد ذلك ، بضاري وحردان للمفاوضة على الصلح .. ولم يؤد هذا الاتصال الى نتيجة .

وبعد شبوب ثورة الرميثة في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٠ سرت نارها الى المدن والقصبات العراقية ، ودعمها الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي بفتواه المعروفة التي وجهها الى مسلمي العراق يحثهم فيها على الجهاد قائلاً لهم : « مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز من قبول مطالبهم » . وتعضيداً لهذه الفتوى خاطب الامام الشيرازي جميع الثوار ، أينما كانوا ، بهذه الرسالة :

« الى اخواننا المسلمين في العراق سلمهم الله ..

غير خفي على أحد أن موقف المسلمين في مثل هذا اليوم قد بلغت صعوبته وحراجته مبلغاً لا يسع العلماء الاعلام أن يسكتوا عنه ، كما لا يسع العشائر المتحفزين إلاّ بذل النفس والنفيس في سبيل هذه النهضة الدينية والحركة الواجبة الاسلامية . فالواجب اليوم على عموم المسلمين إداء فريضة الدفاع عن حوزة الدين المتين وصيانة المشاهد المشرفة عن لوث الكافرين ومحافظة نواميسكم الأطهار عن تعديات الكفرة ، والقيام بواجب الوعظ والتشويق والنفر والحث والترغيب والترهيب . والله ولي التوفيق . انه سميع مجيب » .

وبادر السيد هبة الدين الشهرستاني الى تعزيز معنويات الثوار بهذا الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اما بعد التحية وبث الأشواق الخالصة القلبية والسؤال عن صحتكم المرغوبة أدامها الله عز شأنه ، فان الاكباد عموماً متعطشة لسائر أخباركم الصافية ، والأنظار شاخصة الى نتائج أعمال المجاهدين أيدهم الله بنصره العزيز ، فالمأمول على عالي همتكم وغيرتكم الدينية أن تبذلوا في مثل هذا اليوم كل السعي والجهد في توحيد كلمة العشائر وتفهيم الغافلين روح المقصد في هذه النهضة وتجتهدوا مع من تعتمدون عليه في تثبيت الامنية لتنظيم الحكومة الاسلامية العربية . وفي كل يوم نترصد لزيارة مكاتيبكم الحاوية لحقائق الاحوال وعلى الله الاتكال والسلام عليكم وعلى كافة اخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته » .

● ● ●

وقد ألهبت هذه التوصيات عزائم العراقيين ، فكان لهم مع الانكليز ، في كل مكان ، معركة .

وعندما تراجع زعماء الثورة من الحسينية في كربلاء حلّوا في الوند [1] ، وسيطروا على الجانب الغربي من المسيّب ، ثم اجتمع مجلسهم الحربي ، وفيه أجمعوا على ايفاد المجاهد الثائر جدوع أبو زيد الى منطقة الدليم لتحريض عشائر زوبع على الثورة . فرحل أبو زيد في الثلث الأخير من تموز ١٩٢٠ حاملاً معه كتاب الامام

---

(١) قلعة في منتصف الطريق بين كربلاء والمسيب ، وسميت الاراضي المترامية حولها باسم مقاطعة الوند .

الشيرازي وفتواه وكتاب السيّد الشهرستاني ، وفي حمى زوبع اجتمع برئيسها الشيخ ضاري وتبادلا حديث الثورة ، وعلم أبو زيد أن ثورة ضاري تحصيل حاصل ، وأنه قاطع الانكليز قبل أن تصله فتوى الشيرازي ، وانه عليم ببواطن الامور ، وأن الثوار يراسلونه ، وكان منهم عبدالواحد الحاج سكر . وقد أبت مروءة الرجل بعد أن اطلع على رسائل علماء الدين وفتوى الشيرازي إلا أن يعلن :

« اني عربي ، ووطني ، وعراقي ، وها أنا ذا اعاهد الله ـ وانت يا جدوع شاهد ـ بأن ابذل النفس والنفيس في سبيل مصلحة بلادي ضد الطامعين ، وليقرّ العلماء واخواني الزعماء عيناً ، لانني باسم الله سأعمل ، وسترون أعمالي . واني لأرجو أن يرضى الله وأن ترضوا عنها .. ان شاء الله ! » .

وعندئذ شكره السيد جدوع باسم علماء الدين والثوار ، وشجعه على المضي فيما اعتزمه .

ثم عاد جدوع الى المحمودية ، ومنها الى مقر قيادة الثورة في الوند . ويذكر بعض المؤرخين انه أنفق في هذه الجولة ٦٠٠ ليرة عثمانية من كيسه الخاص .

● ● ●

وأوجس الحكام السياسيون الأجانب خيفة من رؤساء القبائل ، فأخذوا يتشبثون بمختلف الأساليب كسباً لولاء أو ضماناً لحياد .. فكانوا يجزلون العطاء تارة ، ويأخذون مَنْ لم يطمئن اليهم بالويل والوعيد تارة اخرى .

● ●

وكان من بين هؤلاء الحكام لجمن الذي كان يوزع المال

حراً .. ولا سيما بعد أن ارتفعت المبالغ التي كانت تحت تصرفه من ٥٠٠٠٠ ربية (٣٧٥٠ ديناراً) سنة ١٩١٩ الى ٢٧٩٠٠٠ ربية (٢١٠٠٠ دينار) سنة ١٩٢٠ ، وقد حاول بهذا السخاء أن يغري الاستقرار الى أجل مسمى . وهذه الحقيقة تدحض ما زعمه المؤرخ ارنست مين الذي أذاع عن نفسه انه استطاع أن يحافظ على الهدوء والسكينة في مناطق نفوذه بلا منحة ولا رشوة وبلا جيش !!

وبسلطان المال حاول لچمن ان يشتري ، على الأقل ، حياد ضاري .. ولكن ضاري أجهز عليه يوم لم ينفع مال !! .

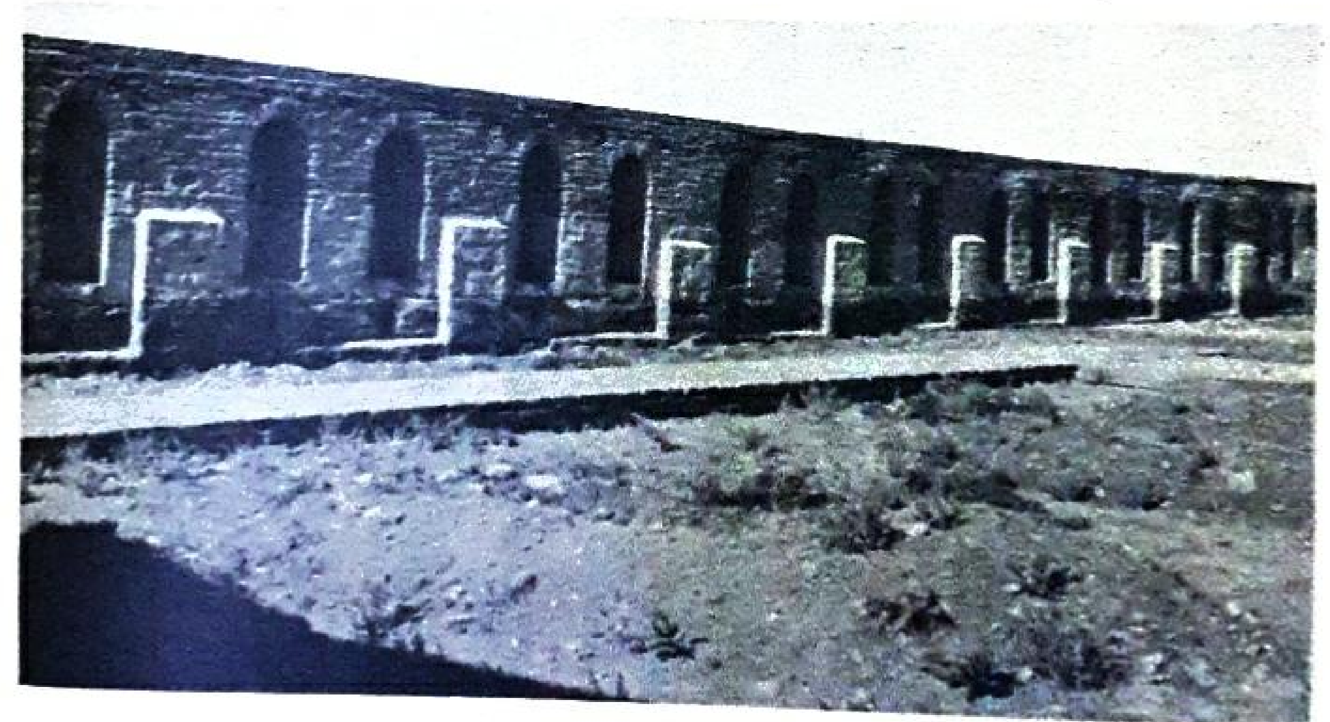
الصراع بين نصارى وبجمن



الشيخ ضاري بن ظاهر المحمود



مخفر أبي منيصير وفي أعلى
الصورة غـرفة بلجمن



منظر داخلي في خان النقطة

مقتل لچمن

حزّ في نفس لچمن كثيراً ، وهو سيّد البـادية ، أن ينطلق ضاري على هواه في سلوكه اليومي ، وأن يناصب الانكليز العـداء ، ويقاوم تعسفهم في المنطقة .. فأراد أن يكبح جماحه ، ويروّضه على الطاعة ، فطلب الاجتماع به مرات عديدة .. ولكن ضاري كان يرفض ذلك متذرعاً بمرضه ، ويرسل هذا الرفض بكتاب خاص يحمله الى لچمن كاتبه ملا زكي بن عايد النصار .

وأخيراً وافق ضاري على مقابلة لچمن في خان النقطة [1] ، وهو أحد الخانين المنعزلين في منتصف الطريق بين بغداد والفلوجة ، وكان يبعد عن مثوى ضاري أربعة كيلومترات وعن بغداد ما يقارب ثمانية كيلومترات .

وجاء ضاري الى هذا الخان في حوالي الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الخميس الموافق ١٢ آب ١٩٢٠ ومعه ولداه خميس وسليمان وابنا أخيه مجباس : صعب وصليبي وجماعة من أقربائه بينهم

---

(١) كان يسمى : خان ضاري لانه هو الذي بناه ، ولـكن الانكليز سموه : خان النقطة .

دحام الفرحان ، وعشرون فارساً من شجعان عشيرته خبأهم ضاري في الخان .

ويقول ارنولد ولسن : ان لجمن ترك دائرتي ببغداد في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وأخبرني انه سيكون في الفلوجة في الساعة الثالثة بعد الظهر وانه سيبرق لي من هناك بوصوله . وأضاف أنه سيطلب من الشيخ ضاري أن يقابله في خان النقطة ليحاسبه على بعض تصرفاته .

وهناك شبه اجماع بين المؤرخين على أن خان النقطة كان موعد الاجتماع .. ولكن الآنسة بيل أرادت أن تدمغ ضاري بالغدر والتمرد على التقاليد العربية حين زعمت أن لجمن وقع فريسة للحقد الذي يحز في نفس أبرز شيوخ العشائر النازلة على طريق الفلوجة الذي كان لجمن يزوره في مخيمه حيث كمن له ابن الشيخ فقتله حالما خرج من مضيفه [1] .

وهذه الرواية تعني أن لجمن كان في مضيف ضاري يوم حدثت بينهما المشادة التي أفضت الى مصرعه . ويفهم من سياق الاستاذ علي البزركان انه يؤيد هذا الزعم ، فهو بعد أن روى تفاصيل المشادة قال : ولما كانت التقاليد العربية النبيلة تقضي أن لا يقتل الفرد شخصاً وهو في مضيفه فان الشيخ ضاري ذهب مع لجمن هو وبعض أفراد عائلته حتى اذا ما أوصلوه الى باب الخان كانت هناك نهايته .

وهذه الرواية تختلف جملة وتفصيلاً عما تواتر من أحاديث

---

(١) ولا ينطوي هذا الخبر على شيء من الصحة ، ويبدو أن هناك التباساً في الصدد ، وقد ازاله الميجر براي حين زعم بأن الكابتن وليامز قائد الشبانة في الرمادي هو الذي كان قتيل الخيمة ذات ليلة ، وقد قتله الشيخ ضاري .

حول مكان الاجتماع . وأياً كان الأمر ، فان ضاري ايفاء للوعد ذهب الى خان النقطة ولكنه لم يجد فيه لچمن ، فجلس يدخن عند مدخل الخان ، وهو ينتظر عودة لچمن من بغداد .

وكانت الشرطة ، وعددهم ٢٥ رجلاً من الشبانة والليفي [1] ، كما يرى فريق المزهر الفرعون ، تشغل خان النقطة .

وفي الساعة ١٢,٣٠ ظهراً عاد لچمن من بغداد في سيارته الخاصة [2] ومعه سائقه وخادمه ، والتقى بضاري في مدخل الخان . ويذهب الفريق هولدين - قائد الحملة الانكليزية أيام الثورة العراقية - الى انهما شرعا يبحثان في بعض القضايا المتصلة بالحاصلات والواردات .. بينما الدكتور محمد مهدي البصير يرى أن لچمن والشيخ ضاري دخلا معاً الى الخان ، وهنا حادثه لچمن بشأن زراعته ووارداتها .. ولكن الميجر براي يزعم ان ضاري وولديه سليمان وخميس وأحد عبيده كانوا ينتظرون لچمن خارج الخان ، ورافق لچمن ضاري الى داخله حيث جلس معه في غرفة خاصة بشؤون القبائل يتحدثان في بعض الامور .

وكان لچمن يطالب ضاري بتسليم لفيف من المجرمين الموهومين الذين ادعى انهم يسلبون رجاله .

واستمرت المقابلة حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، وحوالي هذا الوقت وصلت جماعة من العرب باحدى السيارات تشكو الى لچمن أن عصابة من قطاع الطرق اعترضت سيارتهم ، واوقفتها على مسافة ميلين من الخان باتجاه بغداد ، وسرقت منهم ما كانوا يحملون .

---

(١) جماعة من الجيش الآثوري الذي شكله الانكليز لمساندة قواتهم . ويدعي الميجر براي ان عددهم ١١ رجلاً بضمنهم قائد الشبانة .

(٢) عرفت هذه السيارة باسم « هارفستر » أي الحاصدة .

ويزعم الفريق هولدين ان لجمن أرسل أحد ضباط الشبانة وعشرة منهم وخمسة من رجال عشيرة زوبع معهم ابن ضاري لالقاء القبض على الجناة ، وأمرهم أن لا يبتعدوا عن الخان أكثر من ميلين . ويرى أحدهم ان لجمن أمر ضاري بارسال ولده خميس ومعه عدد من أفراد عشيرته للمطاردة ، فأرسل ضاري ولده وعشرة فرسان من زوبع وعشرة أنفار من الشبانة . بينما يذهب الاستاذ السيد عبدالرزاق الحسني الى أن لجمن أوعز الى قائد الشبانة أن يصطحب الشيخ خميس مع اثني عشر من رجال زوبع لتعقيب اللصوص واستعادة ما سلبوه من السيارة .. ولكن الدكتور محمد مهدي البصير يؤكد على أن لجمن أمر ضابط الدرك بالسفر حالاً الى تعقيب العصابة وأمره أن يصطحب عشرة أفراد من رجال الدرك وبضعة رجال من قبيلة زوبع .. في حين ان الميجر براي يخالف هذه الروايات جميعاً ليزعم ان الشيخ ضاري نفسه التمس من لجمن أن يرسل الشبانة لالقاء القبض على الجناة ، فأمر لجمن قائد الشبانة بأن يأخذ رجاله كلهم وخمسة رجال من زوبع لمطاردة اللصوص ، وأوصاه أن لا يندفع أكثر من ميلين عن الخان .

ويقال أن لجمن افتعل هذه الحادثة افتعالاً لتستقيم مكيدة تبرر الايقاع بزوبع ورئيسها . وبين المؤرخين من يعتقد بأن لجمن حاك هذه الدسيسة في بغداد ، وانه سخّر اولئك الأعراب لتنفيذها ، وانه هو الذي أتى بهم معه من بغداد ليقولوا ما قالوه بشأن السرقة حتى يتخذ من هذه الحادثة ذريعة للتنكيل بضاري والنيل من كرامته .

وأياً كان الأمر ، فان المؤرخين العراقيين أشاروا الى أن ضاري والذين معه غادروا الخان بعد رحيل القوة البوليسية التي كلفت بالقبض على الجناة .. ولكن المؤرخين الانكليز ولا سيما الميجر براي

يذهبون الى أن لجمن وضاري وسليمان وأحد العبيد ظلوا في الغرفة ، وبقي في ساحة الخان سائق سيارة لجمن وحسن خادمه ورجل زوبعي .

ويقال ان ضاري ولجمن لم يغادرا المخفر ، وكان يبعد عن الخان ١٠٠ متر تقريباً . وفي غرفة المخفر كان لجمن يتمشى منفعلاً وهو يلمز ضاري ويشتمه ، وصكّ ذلك مسمع الشيخ العربي ، فثارت حميته ، وبالرغم من ذلك ظل لجمن يخاطب ضاري بأقذع الكلمات، ويهدده بالويل .. وخرج ضاري حانقاً حينما قال له لجمن : انك قاطع طريق !!

واحتدم بين المؤرخين خلاف كبير حول مضمون الحديث الذي دار بينهما ، فالاستاذ علي البزركان يعتقد ان لجمن ، في ذلك الاجتماع ، أمر ضاري بحراسة الطريق بين الرمادي وبغداد ، فاعتذر ضاري قائلاً : انه لا يتمكن من مقاومة العشائر التي أثرت فيهم أقوال البغداديين ضد الانكليز .

وحينئذ قال له لجمن : ولكن موقفك هذا يعتبر خيانة .

وحين أراد ضاري أن يبرىء نفسه من هذه التهمة قال له لجمن: اسكت ياكلب !!

ويذهب الميجر براي الى أن لجمن اتهم ضاري بالسرقة ، ويرى الدكتور محمد مهدي البصير أن لجمن ألقى على عاتق ضاري تبعة الاخلال بالأمن ونسب اليه والى قبيلته وقوع حادثة السلب بكلمات جارحة . اما السيد عبدالرزاق الحسني فيذهب الى أن لجمن قصّ على ضاري كيف ألقت حكومة صاحب الجلالة البارحة (١١ آب) القبض على الشيخ أحمد الداود ، وكيف هرب جعفر أبو التمن

ويوسف السويدي وعلي البزركان الى منطقة الفرات الأوسط ، وأكد له أن الحكومة جادة في استئصال أعمال الشغب ببغداد ، وانهاء المواليد النبوية ، واعلان الادارة العرفية .

ويعتقد السيد فريق المزهر الفرعون بأن لجمن أخبر ضاري بزيارة السيد جدوع وما قام به في زوبع ، وعاتبه على ذلك ، وحمّله تبعة هذه الاعمال ، وأسمعه كلاماً بذيئاً وأهانه مسنداً اليه تهمة قطع الطريق وسلب المارة .

وبوسعنا أن نجد ، بعد هذا العرض ، ان الشيخ ضاري أيقن بأن لجمن سيفتك به لا محالة ، ولذلك ثارت حميته ، وغضب .. واستأذنه بالخروج فأذن له ، غير انه عاد بعد فترة قصيرة ، فاستأذن الخفير بالدخول على الحاكم فأذن له . ودخل عليه ومعه ولده خميس ورجل آخر من أفراد اسرته .. هكذا قال الدكتور محمد مهدي البصير ، ولكن الميجر براي يخالف هذه الرواية بقوله : ان لجمن بعد أن فرغ من محادثة ضاري نهض ليذهب ، واجتاز الطريق الى الباب ، فرماه ضاري من الخلف باطلاقة نارية فسقط الى الأرض .

ويشير الفريق هولدين الى أن ضاري طلب الى الحارس السماح له بالدخول لمحادثة الحاكم السياسي ، وصدر الأمر بادخاله ، وما أن دخل حتى أطلق اثنان من أتباعه (أحدهم ابنه سليمان) النار على لجمن ، فجرحوه جرحاً بالغاً ، وما أن سقط على الأرض حتى سأل ضاري : لماذا أطلقت عليّ النار ولم اصبك بسوء ؟.

وهنا استل ضاري سيفه وأجهز على لجمن . واعتبرت جريدة بغداد تايمس خميساً أحد القتلة . وحول هذه التفاصيل حام أيضاً الميجر براي . اما المؤرخون العراقيون فقد التبس عليهم الأمر وتشابهت

عليهم الاسماء • فالاستاذ السيد عبدالرزاق الحسني يعتقد بأن ضاري وولده سليمان وابني عمه صكب وصعب هم الذين وجهوا فوهات مسدساتهم نحو رأس لجمن وأطلقوا النــار • ويرى الاستاذ علي البزركان بأن أحد أفراد زوبع أطلق على لجمن رصاصة من بندقيته أردته قتيلاً • وللدكتور محمد مهدي البصير رأي في هذا الموضوع مفاده : ان ضاري دخل على لجمن ومعه ولده خميس ورجل آخر من أفراد اسرته ، ولما بصروا لجمن بادر خميس الى اطلاق العيارات النارية عليه فسقط صريعاً •• إلا انه نظر الى الشيخ ضاري ، وقال له : الى هذا الحد تبلغ بك الخيانة • وآنئـذ ضربه الشيخ ضاري بسيفه ، فقضى على حياته •

ويذهب فريق المزهر الفرعون الى أن ضاري وولده سليمان وصعب وصليبي ودحام هم الذين قتلوا لجمن •

وألمع الميجر براي الى أن قَتَلَة لجمن قتلـوا أيضاً سائقه ثم خادمه حسن الذي حاول الهرب ولكنه لم يفلح • وثار خلاف كبير بين مؤرخي هذه الحادثة في تشخيص الخادم والسائق ، وخلط بعضهم بين الاثنين ، فزعم علي البزركان ان سائق لجمن لم يقتل وانما فرّ الى بغداد ليخبر السلطة المحتلة بالحادث ، وفعلاً ذهبت قوة مسلحة الى الخان ونقلت جثة لجمن ، وكان ذلك قد تم يوم الجمعة ١٣ آب ١٩٢٠ • وظن السيد عبدالرزاق الحسني ان سـائقه يدعى حسن (لا خادمه) وكان هندياً • وبرر السيد فريق المزهر الفرعون قتله بمحاولته المقاومة • وذهبت جريدة بغداد تايمس الى ان هذا السائق كان من أبناء العرب • وردّ الاستاذ المرحوم عبدالمنعم الغلامي على هذا الزعم مؤكداً انه كردي من أكراد ايران الاذربيجانية وأشار الى انه كان يشاهده مع لجمن أثناء حاكميته على الموصل في جميع غدواته

وروحاته ، وكان في ريعان الفتوة والشباب . وأخبرنا الشيخ سليمان ابن ضاري بأن سائقه هندي ، وخادمه أهوازي .. ولكن الميجر براي يؤكد أن خادمه كان يدعى حسن وقد وقع مريضاً يوم كان لجمن في الرمادي فأدخله المستشفى واستعاض عنه بخادم آخر اسمه أيضاً حسن وهو الذي قتل بعد مصرع لجمن .. اما سائقه فكان رجلاً عربياً .

ونحن نميل الى أن خادمه كان هندياً . وقد مرّ بنا أن لجمن أخبر أهله في رسالة كتبها اليهم خلال اقامته في البو كمال بتاريخ ١٦ مارت ١٩٢٠ بأن حسن الخادم يتحدث معه احياناً باللغة الهندستانية .

نهاية لچمن ودفنه

تحدثنا في الفصل السابق عن الظروف التي مهدت لمصرع لچمن، وعاصرت هذا المصرع ، وعاشت قليلاً بعده • وقد هالنا ما وجدنا فيها من خلاف وتخرصات وأوهام • فرأينا أن نستقي الخبر اليقين من فم الحاج سليمان بن الشيخ ضاري خدمة للحق والتاريخ ، فزرناه ظهر يوم الجمعة الموافق ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٧ في مضيفه قريباً من الخان الذي سجل لزوبع أخلد بطولة ، وهناك فتح لنا قلبه ، بعد أن رحب بنا أجمل ترحيب •• ثم مزّق جميع البراقع التي حجبت عن المؤرخين ملابسات المصرع التاريخي ، فقطع بذلك قول كل مؤرخ • وكان الرجل يحدثنا بهدوء وبشاشة ، وبلهجة صادقة ، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة حول الصراع بين ضاري ولچمن •• وشاء الرجل أن يكرم مثوانا ليستأنف بعد ذلك حديثه الشيّق • وسليمان ـ كما يعلم القراء ـ كان أحد قتَلة لچمن • ومن هنا خطورة حديثه ، وقد استهله بقوله :

كانت لوالدي الشيخ ضاري ، قبل مصرع لچمن ، يد حمراء في الثورة العراقية الكبرى ، وكانت له مراسلات مع كربلاء والنجف

وبغداد • وفي ذلك الوقت نفى الانكليز الشيخ حردان الى الهند •• وعندما رجع من منفاه زار بيت أبي تحمله احدى عربات الاجرة • واحتفلت زوبع بقدومه ، ومنحوا سائق العربة ٢٥٠ ربية ، ثم ركبوا خيولهم الى الفلوجة تكريماً لضيفهم الكبير • وكان حردان معروفا بعدائه للانكليز •

وذات يوم جمع لچمن رؤساء القبائل في الرمادي وكان بينهم أبي ، وأقام لهم مأدبة عامرة • وبعد الانتهاء من الطعام فاتحهم في الموقف الراهن ، وقال : انه يود الوقوف على رأيهم ، باعتبارهم عشائر من أهل السنة ، في الثوار الشيعة الذين يطالبون السلطات الانكليزية بقيام حكومة مستقلة •

واستغل أبي - رحمه الله - الموقف ، فلم يفسح المجال لاحد من المجتمعين بالكلام ، وانما نهض قائماً ليقول : لا تذكر يا لچمن كلمة (شيعة) ، فليس في ديننا سنة ولا شيعة •• بل هناك دين واحد وعراق واحد وكلمة واحدة واجماع على تشكيل حكومة وطنية • فاذا لبيتم مطاليب الثورة فان الاستقرار والأمن يسودان العراق • وانني في موقفي هذا أُخاطبك بلسان المجتمعين •

فأجابه لچمن : ذلك حق ، ولكن حكومة صاحب الجلالة حائرة في أمركم !!

فقال أبي : ولماذا هذه الحيرة ؟

فأجاب لچمن : ما أدري ، فنحن حائرون : هل نشكل حكومة شيعية أو سنية !!

فقال أبي : قلت لك دع هذه النغمة ، فليس في عراقنا سنة ولا شيعة ، وانما هناك علماء أعلام نرجع اليهم في أمورنا •

فقال لچمن : انتم عشائر ، والاجدر بكم أن تكونوا مستقلين •

فقال أبي : ان علماءنا حكومتنا ، وقد أمرنا القرآن الكريم باطاعة الله والرسول واولي الأمر منا ، فاذا اعتديتم عليهم فاننا سننتصر لهم ونحاربكم بجانبهم •• والأوْلى أن تلبوا ما أرادوا •

ومنذئذ غضب لچمن وحقد على أبي • وبعد مرور شهر او أقل على هذا المؤتمر العشائري أرسل لچمن رجلين من الشبانة لتبليغ أبي بوجوب مقـابلة لچمن صبـاحاً في مخفر (ابو منيصـــير) بجوار خان النقطة •

واعتذر أبي ، باديء الأمر ، عن مقابلته في رسالة حملها الى لچمن ملا زكي بن عايد النصـار •• وكان الموسـم الزراعي يومذاك موسم دياسة ونقل ، وكان أبي بحاجة الى جمع الحاصلات ليتسنى له شراء الاسلحة التي يستطيع بها أن يواجه لچمن وقواه البوليسية •

وفي ضحى الخميس ١٢ آب ١٩٢٠ وافق أبي على مقابلة لچمن، وتحرك الى خان النقطة بصحبـة أخي خميس وابني عمي مجباس : صعب وصلبي وأنا وجماعة من زوبع منهم عفن بن حرج (ابن عمي) وعبدالله الفياض ومشوّح الحامد وزمرة من العبيد أذكر منهم صلفيد بن ســالم وخلف العنبر وعبـد بن مسك •• وكان مجموعنـــا عشرين نفراً •

ووصلنا الخان ، وكان محروساً بأكثر من عشرين شخصاً من الشبانة • وتوجه أبي الى المخفر وكان قريباً من الخان ، وطلب إليّ أن ارافقه ، وأمر جماعتنا بالمكوث في الخان وچايخانة الخان •• وكان أبي يحمل سيفاً ، وأبت مروءته أن أحمل بندقيتي في مواجهة لچمن ، فامتثلت أمره واودعت البندقية لدى أحد أقربائي •• ولكني ظللت مدججاً بحزام الطلقات ومحتفظاً بخنجري • ولم يكن لچمن ســاعتئذ في المخفر •

وحين أتى لچمن من بغداد •• أعلنت الشبانة قدومه واستعدت لتحيته • وفي اللحظة التي اقترب خلالها منا خاطب أبي منفعلاً وهو يقول : انني لم اسلك الطريق العام في مجيئي اليكم من بغداد ، لانه أصبح طريقاً غير مأمون •• ولذلك جئتكم عن طريق عقرقوف لابشرك يا ضاري باعتقال الشــيخ أحمـد الداود وهروب يوسف الســويدي وجعفر أبو التمن •

وعندئذ امتقع وجه أبي لهـذه الفواجع ، وبقي ســاكتاً والكآبة ترتسم على محياه •

وبعد لحظات جاءت سيارة أهلية نزل منها جماعة يصيحون : الدرب مو[1] أمين !! • والتفت لجمن نحو أبي قائلا : أنت سبب هذه الفوضى •

وأمر لجمن ضابط الشبانة أن يصطحب الزوبعيين الذين كانوا في الخان لمطاردة الجناة واستطلاع الطريق • وقمت أنا بتبليغ أخي خميس بالأمر ليساعد الشبانة في مهمتها وأوصيته بأن يكون حذراً وفطناً ، وهمست في اذنه أن لا يبتعد عن الخان كثيراً • وكان تحفظي هذا في محله لانني كنت استشم من لجمن رائحة الغدر •

وأراد صعب وصلبي أن يغادرا الخان مع الشبانة ، ولكني أمرتهما بالبقاء لئلا يحدث شيء ذو بال •

وامتطى خميس وجماعة من عشيرتنا وعبيدنا (يبلغون العشرة) خيولهم راحلين مع الشبانة • أما دحام الفرحان فقد لزم مكانه تحوطاً •• وأوصيت ، بعد ذلك ، الباقين من العشيرة والعبيد في الخان والچايخانة بالتأهب واليقظة استعداداً لكل طاريء ولكل قوة عسكرية أو بوليسية ربما تأخذ طريقها الينا من الرمادي أو بغداد •

وبعد أن احكمت الخطة عدت الى المخفر ، وهناك سألني لجمن: هل ذهبت جماعتك مع الشبانة ؟ فقلت : نعم • فقال : وكم بقي منهم في الخان ؟ • قلت : اثنان هناك ، وأنا ثالثهم هنا •

وقد كتمت عنه حقيقة الموجودين في الچايخانة • وعندئذ اخذ لجمن بيد أبي ذاهباً به الى غرفته الخاصة فوق سطح المخفر ، ولدى باب المخفر وقف اثنان من الشبانة مسلحين ، وبقيت أنا بالقرب منهما متوتر الاعصاب ، مرهف الحس ، ناشراً اذني على صخب لجمن وضجيجه مع أبي ، وقد بلغ صوت لجمن من الشدة مبلغاً اهتزت له جنبات المخفر • وكان أبي خلال ذلك يدفع عنه التهم التي نسجها لجمن •

ولم يصدق لجمن حرفاً واحداً من دفاع أبي • وعندئذ آمنت بأن الحكاية بلغت نهايتها ، وان الثورة لغة المظلوم ، وعزمت على أن

---

(١) ليس •

افوت على لچمن فرصة البطش بوالدي أو اعتقاله • ولم أجد أنفع من الاتصال بحارسي لچمن الواقفين خارج باب المخفر لاقناعهما بالتزام الحياد وعدم التدخل ، فاقتربت منهما وأدخلت في روعهما انهما من دم عربي وأنهما لابد أن يكونا من أهل الرمادي أو الفلوجة ، وأن شيمتهما العربية لا ترضى باذلال أبي واهانته على مسمع منهما • • وبعد التي واللتيا رسخا على أن أبي لا يريد الا الخير لهما ولأولادهما ولا يريد الا تخليصهما من عبودية الشبانة •• وقد حذرتهما أن يلقيا بنفسيهما الى التهلكة، ورجوتهما أن يكونا معنا في هذه اللحظة الحاسمة • وعلما بأن لدي قوة مسلحة تكمن في چايخانة الخان ، فخافا أن يكون القتل مصيرهما اذا سولت لهما النفس بالمقاومة • • فعاهداني على أن لا يحركا ساكناً ، ولا يعترضا طريقي الى لچمن اذا ضمنت لهما السلامة • فأعطيتهما العهد •• وعندئذ قالا : دونك الرجل •• اعمل به ما تشاء •

وفجأة خطفت من أحدهما بندقيته •• وابتعدت عنه مخافة أن يحاول استرجاعها •• وقد عزمت على قتله اذا حاول ذلك ، ولكنه هجم على يدي يقبلها وهو يقول : ألم تعاهدني ؟ •• فاجبته : نعم •• عاهدتك ولكن على حياتك لا على بندقيتك •

واستعطفني طالباً الرحمة ، وهو يولول : ماذا سيكون مصيري لو خرج لچمن من الغرفة ورأى بندقيتي في يدك ؟ • • ارحمني يا سليمان ! !

فاعدت اليه البندقية ، وركضت نحو الخان حيث تربض جماعتنا •• فاسترجعت بندقيتي وقدت فرسي ، وطلبت من ابنَي عمي صعب المجباس وعفن بن حرج أن يأتيا معي بسلاحهما وفرسيهما وفرس والدي الى المخفر •

وحين وصلنا المخفر رأيت أبي خارجاً من غرفة لچمن وعلى وجهه تعبير ثائر •• وعندئذ تذكرت انه أوصانا ـ قبل اليوم ـ بقتل لچمن حالما تقع عليه أبصارنا • فماذا عساه يوصينا الآن بعد أن أهانه لچمن •• لقد عرفت أن ابي يريد قتله ••

وخرج لچمن دون أن يقيم لنا وزناً •• حتى اذا اجتاز باحة

المخفر الى المجاز القريب من الباب الرئيس ، لم نملك الا أن نقتحم عرينه ٠٠ واذ رآنا على هذه الشاكلة لاذ بأبي ، فاشرت على أبي أن يروغ عنه قليلاً ، وعند ذاك احتمى بالجدار القريب من الباب حيث بنادقه وبنادق الشبانة في مشجبها ٠٠ فامطرناه بثلاث طلقات أخذت طريقها في لحيظة واحدة من بندقياتنا الثلاث الى رأسه وكتفه وظهره٠ ويبدو أن هذه الاصابات لم تفقده صوابه ، فاتكأ على الحائط ٠٠ ولعله أراد أن يهتبل الفرصة ليكون في وسعه ان يتناول احدى بنادق المشجب في مواجهتنا ٠ وحسماً لهذا الموقف الحرج صافحته بنادقنا الثلاث بدفعة جديدة من الطلقات على مرأى من أبي وهكذا وجدناه بعد أن ارتهن في جسمه ست رصاصات ٠٠ يتداعى الى الارض بجوار الحائط ٠٠ واستطاع ، في لحظاته الاخيرة ، أن يلوم أبي على هذا الاغتيال ، ولكن أبي أجهز عليه بضربة سديدة على رأسه بالسيف ٠

وقد سألت أبي : لماذا لم تقتله بسيفك حين انفرد بك في الغرفة ؟ ٠ فأجابني : لو كان عندي خنجر لقتلته به فوراً ٠٠ ولكن السيف ، في غرفة ضيقة ، قد يعجز عن اداء رسالته ، لانه لا يعمل الا في المجال الواسع ، ومثل هذا المجال لم تستوعبه الغرفة ٠ ولو بادرت الى مواجهته بالسيف لحاول أن يقبض على يدي ويحرمني سعادة اللحظة التي اصرعه فيها ، لانه شاب نشيط قوي ، وأنا شيخ كبير ٠

وبعد أن فرغنا من أمر لچمن جردنا الشبانة من سلاحها ، واستوليت أنا شخصياً على ثلاث بنادق من بنادق لچمن الخاصة ، وركبت فرسي متوجهاً الى أخي خميس ٠٠ وعندما أصبح مني في مستوى النظر أشرت اليه بيدي اشارة ذات دلالة ، تعني اننا أجهزنا على لچمن ٠٠٠ فارتفعت الاهازيج والهوسات !! وبعد ذلك جردنا أيضا الشبانة التي كانت ترافقه من سلاحها ، وأمرناهم بركوب خيولهم ، واتجهنا جميعاً نحو الخان ٠٠ ثم سمحنا لهم بالذهاب الى الفلوجة ٠ أما ضابط الشبانة فقد صحبناه ـ وهو على فرسه ـ الى بيتنا في صدر العبّادي حيث اكرمنا مثواه ، وكسوناه بثياب عربية صيفية اغنته عن السروال الانكليزي القصير ٠

وقد فاتني أن أذكر أن سائق لچمن قد قتل بالقرب من الخان ، ولم يدخل قتله في حسابنا ، لأننا أردنا الابقاء عليه ‥ ولكن شخصة من جماعتنا لم يحتمل وجوده حياً فقتله !

أما خادمه ـ الذي كنا في أيام الماضي نراه يرتدي أبهى الملابس العربية وأغلاها ـ فقد قتله مشوّح الحامد بعد أن رآه يهدد الشبانة ، ويتهمهم بالخيانة ، ويحرضهم على المقاومة •

● ●

وهنا سكت الحاج سليمان ‥ وقد لاحت على وجهه ابتسامة رائعة أراد أن يودّع بها سعادة اللحظات التي عاشها مع الذكرى البعيدة ، مع بطولات الثورة العراقية الخالدة • ولم نملك ، ونحن أمامه ، إلا أن نحيي بسالة الرجل في معركته مع شيطان الصحراء !!•

● ●

ثم تمضي الحكاية بعد ذلك قائلة :

ان الشبانة الذين غادروا على خيولهم خان ضاري ‥ وصلوا الفلوجة ، وأخبروا سلطات الاحتلال هناك بمقتل لچمن (هكذا قال الميجر براي) ، وقد ذكرنا قبل قليل أن السيد علي البزركان أشار الى أن سائق لچمن فرّ الى بغداد ليخبر السلطة بمقتله • وفي هذه الاشارة خروج على إجماع المؤرخين • وذكر الدكتور محمد مهدي البصير ان خبر قتله نزل على مسامع رجال الحكومة نزول الصاعقة ، لانه كان من أكابر الضباط البريطانيين العارفين بأحوال القطر وتقاليده معرفة واسعة ‥ زد على ذلك انه اشترك في المعارك التركية الانكليزية في العراق ، فأظهر مهارة فائقة وبسالة حرية بالتقدير •

وفي ١٤ آب ١٩٢٠ ذهب الملازم غورنغ معززاً بقوة كبيرة الى خان النقطة ، وهناك وجد سيارة لچمن الهارفستر مهجورة وفيها

مسدسه فقط ، ثم اقتحم المخفر حيث عثر على جثة لجمن ، وبعد أن غطاها أمر جنوده بحملها الى الفلوجة .. وهناك دفنت في اليوم التالي في معسكر الجيش الانكليزي .

وطلعت جريدة بغداد تايمس ، على الناس ، بمصرع لجمن قائلة :

« **ننعي بكل أسف وفاة اللفتننت كولونيل جيرالد إي. لجمن سي. آي. إي. من آلاي سوسيكس الملكي الملحق بالادارة الملكية في العراق المتوفى في خان النقطة في ١٢ آب وعمره ٤٠ سنة ، والظاهر ان قتله جرى عمداً وان قاتله هو خميس أكبر أولاد الشيخ ضاري المحمود زعيم عشيرة الزوبع ، وقد فتك به وهو ضيفه ، وفي الليلة التي كان فيها نائماً تحت خيمته ، وقتل معه حوذي سيارته وهو من أبناء العرب ، ووجد جثمان المقتول بعد قليل في الخان فحمل الى الفلوجة ودفن في احدى المحطات العسكرية** » .

وأبّنه الفريق إلمر هولدين بقوله :

« **ان فقدان رجل كهذا ، في مثل هذا الوقت بعينه ، ضربة نزلت بكل واحد منا** » .

● ●

وفي ٢٨ شباط ١٩٢١ أخرج الانكليز جثة لجمن من لحدها ، وغطوها بنفس الغطاء الذي وضعه عليه الملازم غورنغ في ١٤ آب ١٩٢٠ ، ثم حملوها في سيارته (الهارفستر) وقد نثروا فوقها الأزهار.

واجتاز لجمن طريق الفلوجة الى بغداد في رحلته الاخيرة ، وعبرت به الهارفستر جسر بغداد العائم الى كنيسة الجاريسون ، وهناك بات . وفي الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالي أخذت الجنازة طريقها في شوارع بغداد ، وقد حمل الجنود الانكليز وراءها بندقيته التي كانت تعاضده في البو كمال في مواجهة الثوار العرب .



خان النقطة

باب خان النقطة

هؤلاء قتلوا لجمن



خميس بن ضاري



سليمان بن ضاري



الشيخ ضاري



عفن بن حرج



صعب المجاس

ولدى وصولها الى باب المعظم انحرف بها مشيعوها نحو طريق ضيق لتمكث الى الابد في مقبرة جعلها الانكليز حكراً على قتلى معاركهم في العراق [١] .. وقد حفروا على شاهد قبره هذه العبارة :

"Lieutenant Colonel

G. E. Leachman, Cie., DSO.

Royol Sussex Regiment

12 th. Augest, 1920. Age 40"(2)

● ●

وهكذا انتهى لجمن .. وكانت نهايته تراجيدية يعز نظيرها في تاريخ الامبراطورية البريطانية . اما الذين قتلوه .. اما أبطال الملحمة العربيـة فمنهم من قضى نحبـه ، ومنهم من ينتظر . ففي ماردين – حيث مشارد زوبع – توفى صليبي ، وفي سنة ١٩٢٥ توفى دحام الفرحان ، وفي سنة ١٩٢٨ توفى ضاري الظاهر ، وفي سنة ١٩٥٢ توفى صعب المجباس ، وفي سنة ١٩٦٠ توفى عفن بن حرج . وما يزال خميس وسليمان على قيد الحياة أحدهما في شتاء العمر والثاني في خريفه ينعمان بذكريات الفتوة التي تجسدت بطولة ثار في مخفر أبي منيصير .

---

(١) تقع هـذه المقبرة في الكرنتينة ببغداد خلف سدة ناظم باشا .. وتحجبها عن الشارع اعدادية التجارة المقابلة لوزارة الثقافة والارشاد .

(٢) محتواه العربي : العقيـد جي.ئي. لجمن (وكـالة الاستخبارات الانكليزية ـ ضابط أركان منطقة) . من فوج سوسيكس الملكي . ١٢ آب ١٩٢٠ . عن أربعين سنة .

ثورة زوبع

كان مقتل لجمن نذيراً بثورة زوبع ، ففي ١٢ آب ١٩٢٠ اتجه ضاري ومَن معه الى قبيلة المحامدة قرب الصقلاوية حيث أخذ يراسل زعماء الثورة في كربلاء ، فعمّ الهياج منطقة الدليم من خان النقطة الى عانة . وكانت هذه الحركة سبباً الى قطع المواصلات بين بغداد وبين القطعات الانكليزية في الفلوجة والرمادي . وقد قدّر الفريق هولدين المجموع الكلّي للعشائر المشتركة في الثورة في منطقة بغداد ـ الفلوجة ، يوم مقتل لجمن ، بسبعة آلاف وخمسمائة مقاتل يملكون تسعمائة بندقية حديثة وألفين وخمسين بندقية قديمة صالحة للاستعمال .

وكان الثوار ، فوق ذلك ، يستخدمون المسدسات والسيوف والخناجر (١) .

وعلى الرغم من ان الحاميـة الانكليزية في منطقة الفلوجة ـ الرمادي كانت مزودة بمواد التموين ، وان المقدم (إيدي) تسلم مهام السيطرة السياسية ، وتمكن من الحفاظ على الوضع الراهن

(١) كان عتـاد زوبع مخزوناً في أماكن يعرفونها ، وكانوا يستوردون بنادقهم من ابن رشيد في نجد .

بجهود أثارت اعجاب القيادة الانكليزية العامة .. ولكن هذه القيادة شعرت بضرورة القيام بحركة لاعادة الاتصال بها .. باعتبار ذلك يؤدي ، مع وجود قوتها الرئيسة شمال شرقي بغداد ، الى استرعاء انتباه العشائر القاطنة غربي المكان ، وهي العشائر التي كانت الانباء تشير الى تجمعها استعداداً للهجوم على مستودعات التموين الانكليزية .

لقد دخل في حساب القيادة الانكليزية ان هذه المنطقة مسؤولة بالاضافة الى مقتل لجمن عن إحدى الفواجع الكثيرة التي حدثت بين ١٠ - ١٥ آب ، ففي اليوم العاشر أفادت الأنباء بأن الباخرة كرين فلاي قد استقرت على الأرض ، وفي ١١ آب تكبد الانكليز نتائج معركة تلعفر ، وفي ١٢ آب نكب الثوار رتل الزعيم يونغ ، وأفلت الوطنيون من قبضة السلطة في بغداد ، وقتل ضاري العقيد لجمن ، وفي يوم الجمعة ١٣ آب تحركت زوبع بقيادة ضاري وثوار بني تميم بقيادة علي المعيدي من عشيرة المصالحة ، وعزموا على تخريب سكة الحديد الممتدة بين بغداد وسامراء قطعاً للمواصلات بين الموصل وبغداد .. وذلك حين شعروا بأن النجدات أخذت تتدفق من الشمال . واستئصالاً لشأفتها ارسل الثوار ٤٠٠ مسلح بين فارس وراجل من زوبع وبني تميم وما جاورهم بقيادة ضاري الى محطة التاجي غربي بغـداد ، فوصلوها بعد غروب الشمس ، وشرعوا بتخريب السكة ، وفي هذه الاثناء هبط قطار من الشرقاط يحمل جنوداً مسلحين مجهزين بالنار والحديد ، فوقعت أبصارهم على الثوار وهم يقلعون السكة فأمطروهم بوابل من رشاشاتهم اضطرهم الى الهزيمة دون مقاومة ، فعادوا الى منازلهم . وفي هذه المماحكة قتل حصان حمزة الضرس الزوبعي .

وفي هذا اليوم بالذات خسر الانكليز محطة سكة حديد الخضر ،

وقطارين مسلحين ، وعزل الثوار العراقيون مدينة السماوة وحاميتها من جهة البر .

وفي ١٤ آب ذبح الثوار عدداً كبيراً من الانكليز في شهربان .
وفي ١٥ آب قصد ضاري وعلي المعيدي مع جموعهم جهة الفلوجـة حيث ترابط الحامية الانكليزية التي تبلغ ألف جندي بكامل عددهم الحربية ، ونزل الثوار في صدر جدول أبي غريب .

وخسر الانكليز بعض سفنهم في الفرات الاعلى ، وتتالت الكوارث عليهم استمراراً لكارثة رتل مانچستر التي وقعت قبل عشرة أيام ، وقد أوحت هذه النوازل للقيادة الانكليزية بأن الله سبحانه وتعـالى لا يقف بجانبهم .

وكان العقيد وليمز المنسوب الى وحدة الخيالة يقود في الرمادي رتل اللواء الحادي والخمسين بصورة موقتة ليعيد به النظام حول الفلوجة ، ولم يكن اذ ذاك راضياً عن مقدار العلف المخصص لقطعته ، ولذلك قرر ارسال بعض السفن من الرمادي الى الفلوجـة لتوفير العلف والعتاد في مخازنه ، وتحقيقاً لهذه الغاية سارت ثلاث سفن بضـمنها سفينة المستشفى لاسـعاف الجرحى .. من الرمادي الى الفلوجة ، وذلك في الساعة السادسة صباحاً ، فأطلق الثوار عليهـا نيرانهم من مسافة خمسة أميال عن المدينة ، ولكن الرضاص لم يصبها اصابات عاطبة . ثم اشتد اطلاق النار عليها بعد أن قطعت خمسة أميال اخرى باتجاه الفلوجة حيث تتكاثف الادغال على ضفتي النهر ويتوارى الرماة خلالها دون أن تراهم عين .

وعلى سبيل الاحتياط سارت سفينة دفاعية انكليزية تحمل حظيرة من السرية السابعة والستين ووحدة الاستحكام تحت إمرة الملازم

وودز حماية للقافلة • وكان على سفن هذه القافلة خمسة جنود من وحدة المشاة ١/٨٠ (كرنات) أيضاً • وما أن أطلقت النيران ، للمرة الثانية ، في حدود الساعة السابعة صباحاً حتى استوت سفينتان على الأرض • وحالما اصيب ربانا السفينتين الاخريين بطلقات نارية جرفهما التيار لتستقرا على الطين لاتستطيعان حراكاً ولا خلاصاً •

ومات هذان الربانان • وتولت السفينة الدفاعية حماية السفينة الثالثة والسفينة الصحية باطلاق النار على الثوار • ونفد عتادها وقت الظهر • وعندئذ هاجمها حوالي ٥٠٠ ثائر واستولوا عليها وغنموا ما كانت تحمـله من ذخيرة ومؤن ، ثم اشعلوا النـار فيها تاركين رجالها أحياء •

وباتت هذه الحادثة تهدد بغداد بخطر الحصار • **وفي ١٦ آب هاجم الثوار الجيش الانكليزي ليلاً ، وتقدموا نحو الفلوجة ، وهناك دعا الشيخ ضاري نخبة صالحة من رؤساء العشائر ـ منهم رئيس عشيرة جميلة ورؤساء البو عيسى ووجوه عشائر زوبع وبعض رؤساء بني تميم ـ الى الاجتماع في دار مشوح الجاسم أحد رؤساء الجميلة ، وخطب فيهم يحرضهم على الثورة ، وأعلن انه يقلد علماء الدين الاجلاء• ثم أخرج لهم فتوى الشيرازي ورسائل العلماء وكلف كاتبه بتلاوتها عليهم ، وبعد أن وقفوا على محتواها ، قال لهم : ولتعلموا انني سائر في درب عبدالواحد الحاج سكر والسيد نور الياسري ، وانني مسلم وأنتم مسلمون •• فهلموا الى الجهاد !!**

فالتف حوله عدد من العشائر المجتمعة وعاهدوا الله على مقاومة أعداء الدين والبـلاد ، وحلفهم السيد محمود رامز بكتاب الله • وهكذا طلعوا على قوات الاحتلال جبهة مؤمنة مجاهدة •

وفي الساعة الرابعة والنصف من صباح الاثنين ١٦ آب سارت قوة انكليزية مسلحة من الرمادي بامرة المقدم نورمان المنسوب الى وحدة الخيالة الخامسة لمعاقبة القرى الثائرة التي انقضت على السفن

المنحدرة الى الفلوجة ، وكانت قوة نورمان مؤلفة من : حظيرة من البطرية السادسة والتسعين (مدفعية الميدان الملكية) وسريتين من وحدة المشاة (جات ٢/٦) •

وكان من العسير أن تمضي قوة كهذه في أرض تتعالى أدغالها وأشواكها الى ما يتراوح بين ٣ ـ ٥ أقدام ، وتخترقها ، في الوقت نفسه ، قنوات ري عميقة •

وأصاب رتل نورمان نجاحاً ميسوراً في مهمته • وفي الساعة ١١ر٣٠ قفل راجعاً الى الرمادي • وقد جرح في هذه الحركة ـ كما تدعي القيادة الانكليزية العامة ـ ثلاثة جنود من الانكليز و ١٧ ثائراً عراقياً عدا مَنْ سقط تحت وابل الرصاص وأُجهز عليه بالحراب •

واستطاع الانكليز أن يخلصوا سفنهم من الأسر ، فأصبح ذلك مادة دعائية في صالحهم •

وكلفت القيادة الانكليزية الزعيم ساندرز باعداد الوسائل الدفاعية عن بغداد •• فشيّد المعاقل الكائنة على خطوط السكة الحديد وشبكاتها تمهيداً لفتح المواصلات بين بغداد والفلوجة •

وفي أوائل شهر أيلول انتقل ضاري من أراضي الدليم ، ونزل في دياره قريباً من خان النقطة ، ثم انتقل تحت وطأة التهديد العشائري المناوىء الى أراضي النعيمية ، ومنها الى أراضي الرزازة وتوجه بعد ذلك الى خان العطيشي بين كربلاء والمسيب ليتخذه مركزاً لقيادة الجماعة التي صحبته من زوبع واشتركت في الثورة •

وكان الانكليز ، خلال ذلك ، يجدون صعوبة في الحصول على القطعات التي تضمن خط المواصلات ، ولذلك لم يجهدوا أنفسهم في إعادة فتح خطوط المواصلات البرية والسكك الحديد حتى حلول اليوم الثالث من شهر أيلول ١٩٢٠ • وقد كُلّفت بذلك سرية

الاستحكام الحادية عشرة ومعها جماعة من العمال تحرسهم جميعاً وحدة المشاة (١١٦/٢ مهراتا) ومدفعـــان محمولان وبعض السيارات المسلحة • ولقيت السرية ، في سبيل ذلك ، مقاومة ثورية •• فقد أخذ ضاري يرسل يومياً خمسين فارساً يتجولون ما بين خان النقطة وبغداد لضبط الأمن أولاً ، وتجاوباً مع الثورة العراقية ثانياً •

وقد سببت هذه المقاومة بعض المتاعب للانكليز • وتشير القيادة الانكليزية العامة الى أن الثوار لم يتقربوا من قواتهم الا مرة واحدة •• وكان ذلك نهاراً ، وقد أصلتهم المدفعية الجبلية بنيران حامية • وصدر يومذاك البلاغ الحربي الانكليزي الآتي :

« قطع الشيخ ضاري رئيس عشيرة زوبع السـكة الحديدية الممتدة بين بغداد والفلوجة قرب خان النقطة ، لكن السكون سائد في الفلوجة والرمادي والحاميات القوية القائمة على هاتين المدينتين هي سالمة ولم تزعج على أن الانباء تفيد أن ملاحي بعض المراكب الصغيرة التي بين الرمادي والفلوجة قد ضايقهم الثوار فاضطروهم الى اخلاء مراكبهم ، والسكون سائد في عانة •• »

وفي ١٠ أيلول غادرت قوة انكليزية بغداد مع معداتها الحربية وأخذت تحصن الطريق بين بغداد والفلوجة ، وكان اسلوبها في هذا التحصين أن تذهب السيارات المصفحة وفيها الرشاشات وتحلق فوقها الطائرات ، وتذهب السيارات المسلحة وفيها الجنود والرشاشات فتحفر حفرة في الارض عمقها متر واحد ، وتقيم المتاريس حولها ، وتشيّد في نطاقها سياجاً من الاسلاك الشائكة • وفي هذه الحفرة يمكث ١٥ جندياً مجهزين بصندوق من الماء ، وعدد من الرشاشات ، وكمية من المفرقعات والعتاد • وعلى هذه الصورة تتقدم في طريقها •

وفي ١٨ أيلول •• بينما كان الجيش الانكليزي يقيم في الطريق مثل هـذه التحصينات ، وكانت الطائرات تمطر الثوار بوابل من

قنابلها ، وكان لذلك آثاره البعيدة في تمزيق الشمل •• تصدت قوة من ثوار زوبع لهؤلاء الذين رصدوا أنفسهم لحماية طريق بغداد ـ الفلوجة ، وأصلتهم ناراً حامية ، فحلقت الطائرات فوقهم وجعلتهم هدفاً لرشاشاتها وقنابلها •• ولكن الثـوار قابلوها بنيران بنادقهم ، وأسقطوا طائرة حربية من قاذفات القنابل ، وأسروا الضابطين اللذين كانا فيها •• ولكن الشيخ ضاري أعادهما الى القيادة العامة مكرمين •

وقد صدر بهذه المناسبة البلاغ الحربي الآتي :

« اضطرت احـدى طائراتنا الى النزول هناك قرب الفلوجـة وركابها مأسورون عند فخذ من أفخاذ عشيرة زوبع » •

وفي ٢٠ أيلول نقلت سرية الاستحكام معسكرها من بغداد الى خان النقطة بعد أن عززت بمدفعي قوس (باينيرز ـ ١/١٢) •

وفي ٢٣ أيلول أصدر الفريق هولدين أمره بتخصيص قوة عسكرية مختلطة للقضاء على مقاومة ضاري ، فسارت هذه القوة الى خان النقطة ، ولقيت في الطريق مقاومة شديدة وأخيراً دكت قلعة الشيخ ضاري دكاً ، وقطعت المـاء عن مزارعه ونهبت بيوته وقتلت النساء والاطفال • وقد اشتركت في هذه المعركة الطائرات والدبابات والمسلحات • فانكسر الثوار على اثرها • وتعتبر هذه المعركة خاتمة المعارك التي جرت بين أبطال زوبع والانكليز (١) •

وفي ٢٤ أيلول تحرك قطـار انكليزي مدرع يحمل جنوداً مسلحين من بغداد الى الفلوجة ، فبلغها بأمان وهناك احتفلوا بالنصر ، وتم تشييد المعاقل على طول الخط ، وانتشرت فيه الحاميات اللازمة ،

---

(١) أخبرنا الحاج سليمان بن ضاري بأن آخر معاركهم كانت في حي تميم •

ثم أمرت القيادة الانكليزية العامة قطعات الفلوجة بحراسة المعاقل الكائنة بينها وبين بغداد ، وتشييد موقع يتولى السيطرة على نواظم قناة الصقلاوية خشية أن يحطم الثوار سدة الهندية في جنوب المسيب فتعطل الحركات العسكرية في الدليم •

اما ضاري فهو بعد أن فاته النصر على أعدائه جمع أهله ورؤساء زوبع ، وخطب فيهم قائلاً : ان هذا هو أمر الله ، وتلك هي مشيئته ، وهو مقدّر علينا محتوم ، واني اوصيكم أن تكونوا رجالاً صابرين على البلوى وعلى ما يصيبكم ، واتفقوا ولا تتفرقوا » •

وبعد ذلك أخذوا طريقهم ، على ظهور الخيل ، الى كربلاء للاتصال بالثوار • وقد تم اجتماعهم بزعماء الثورة هناك كالشيخ مرزوك العواد (شيخ العوابد) والسيد محسن أبو طبيخ وعمران الحاج سعدون ومحمد العبطان (رئيس الخزاعل) ، واحتفلوا جميعاً بتعيين السيد محسن أبو طبيخ متصرفاً لمدينة كربلاء •

ومما يجدر بالتنويه في هذا الصدد أن الشيخ مرزوك العواد حلف بالله وبطلاق امرأته ـ بعد أن سمع بمقتل لجمن ـ ليقبلنّ اليد التي قتلته •• وذات يوم كان ضاري في خيمة السيد محسن أبو طبيخ ينتظر قدوم الشيخ مرزوك • ولما قدم فرح المجتمعون بمقدمه ، وحيّا ضاري وصافحه ، وقال له : لقد حلفت أن اقبّل اليد التي صرعت لجمن •• فامددها !!

ولكن الشيخ ضاري رفض ، وعند ذاك قال الشيخ مرزوك : اذن ، فامرأتي طالق وهي أم لأطفال ، وسيكون الحاضرون شهوداً على هذا الطلاق •

ولم يملك ضاري إلا أن يمد يده فقبلها مرزوك !

وطلب ضاري ، يوم أقام مع الثوار في كربلاء ، تعضيده بسبعمائة فارس ليذهب بهم الى لواء الدليم حيث يثير أهل اللواء على الانكليز ، فلبى الثوار رغبته واضعين تحت تصرفه ما أراد • ورحل بهم الى أطراف الفلوجة من الجنوب ، وبقي هناك ثلاثة أيام دون أن يستطيع شيئاً ، وعاد الى كربلاء ولازم الثوار في الوند حتى اصيبوا جميعاً بالهزيمة ، فخرج من الوند •

خاتمة المطاف

أيام التشرد

غادر الشيخ ضاري بيت السيد حسين الددة في كربلاء ورافق السيد محمد الصدر ومعه ثوار زوبع متوجهين الى النجف وكادوا يقعون ، في طريقهم ، أسرى في براثن احدى العشائر ، ولكن زمرة طيبة شريفة من عشيرة شمّر انقذته تمشياً مع الحمية العربية ، وزودته ومَنْ معه بعدد من الابل ، وأوصلوهم الى النجف .. وهناك ودّع ضاري السيد محمد الصدر لينزل أهلاً في عصمة شمر . ثم انعقدت نيته على الذهاب الى ابن رشيد في حائل ، وقد سبقه اليه رجال من من زوبع مثل سعدون الرسن . وحاول بجماعته أن يقتفي اثره .. ولكن الأنباء وردت تشير الى ان ابن رشيد قد حاصره الوهابيون . ولذلك آثر النزول في منطقة عين عطية والطكطكانة جنوب النجف ، ثم رحلوا ـ بعد أيام ـ الى مضارب مطلق بن عائش وبرغش التمياط (رئيس عشيرة التومان) في جنوب العراق ، وقد أكرموا مثواهم وساعدوهم ، ورافقوهم في الطريق ، ووهبوهم عدداً كبيراً من الابل .. وفي هذه المسيرة الطويلة خلّفوا كربلاء على يمينهم ، ووصلوا الشامية من جهة الشط ، وهناك ودّعهم التومان بمثل ما استقبلوهم به .. وبعد

رحلة شاقة دخلوا منطقة الجنابيين بحاوية الشط من جهة الشامية ، فاحتفوا بهم ورحبوا بمقدمهم ، وهيأوا لهم شختوراً ركبه الشيخ ضاري وابنه سليمان وصعب وحسين (ابن أخي ضاري) وأحد العبيد وعبروا الشط ظهراً ، ثم امتطوا الخيول متجهين نحو الجزيرة .. وهناك التقوا بأهلهم في أرض الغضا مقابل سامراء .. وكانت زوبع على ابلها ، ورحلوا جميعاً ليلاً ونهاراً حتى وصلوا مناطق شمّر ، وفي الجهة الشمالية قرب سنجار احتفلوا بهم ورحبوا بهم أصدق ترحيب وفتحوا لهم قلوبهم . ثم ذهبوا – بعد ذلك – صوب سنجار حيث مصائف شمّر .

وبعد مرور ثلاثة شهور على انتهاء الثورة العراقية الكبرى انعقد في القاهرة مؤتمر لتقرير السياسة الانكليزية التي يجب أن تتبع في العراق ، وتحديد النفقات البريطانية في بلدان الشرق الأدنى والأوسط . وقد تقرر في هذا المؤتمر اعلان العفو العام عن القائمين بالثورة العراقية . ولما عاد پرسي كوكس (ممثل بريطانيا في المؤتمر) الى بغداد أذاع البيان التالي في ٣٠ أيار سنة ١٩٢١ :

« بناء على التخويل الصادر من حكومة جلالة الملك يعلن فخامة المندوب السامي بمزيد السرور عفواً عاماً عن المجرمين السياسيين ، يعمل به ابتداء من يوم ٣٠ أيار ، وعلى القاعدة الآتية :

البند الأول – يشمل العفو جميع من كان لهم يد في فتنة سنة ١٩٢٠ وذلك فيما يخص الجرائم التي تعد مرتكبة ضد الحكومة ومساعدة على الفتنة .

يطلق سراح المسجونين ، والذين تحت التوقيف ، ويؤذن للشاردين بالرجوع ، ولا خوف عليهم من أن يحاكموا .. ذلك مع استثناء الآتين :

(١) الأفراد الذين عند اشتراكهم في الفتنة كانوا موظفين

بالاجرة في ادارة (حكومة) المناطق المحتلة ، فهؤلاء ينظر في أمر كل منهم على حدة حسب استحقاقه .

(٢) الافراد المذكورون فيما يلي ، المعتقد بأنهم مسؤولون عن اقتراف بعض الجرائم الشنيعة أو التحريض على اقترافها ، وهم الآن شاردون من وجه العدالة :

(آ) الشيخ ضاري وولداه خميس وسليمان وسرب وسلوبي ولدا مجباس (١) ودهام (٢) بن فرحان ، وجميع هؤلاء تابعون لعشيرة زوبع ، وجميعهم متهمون بقتل الكولونيل لجمن أو التحريض على قتله .

(ب) جميل بك (٣) وحميد أفندي التبوني (٤) المتهمان بالتحريض رأساً على قتل المرحومين اليوزباشي بارلو والملازم ستيوارت ، وغيرهما من الموظفين البريطانيين في تل اعفر .

(ج) جاسم الويلي ، من عشيرة المهدية ، المتهم بقتل المرحوم اليوزباشي ريكلي (٥) .

(د) محمد الملا محمود ، من البحاحثة ، المتهم بقتل المرحوم الملازم براد فيلد . وحسن العبد وجاسم العوض ، من عشيرة بني تميم ، المتهمان بقتل المستر بوكانن .

(هـ) ناصر بن اريضير ، وعلاوي الجاسم ، وابن اريميدي .. والثلاثة متهمون بقتل بعض الاسرى البريطانيين .

(و) بسيوس (٦) بن محاويس ، ونعمة بن ضعينة وكلاهما من عشيرة الجوابر ومتهمان بقتل بعض ضباط سلاح الطيران الملوكي .

(ز) فالح بن الحاج صفر العجيبوب (٧) ، من عشيرة الجوابر ،

---

(١) صعب وصلبي ولدي مجباس .
(٢) يعني : دحام .
(٣) المدفعي .
(٤) الصواب : الدبوني .
(٥) في رواية : ريكلي .
(٦) الصواب : بسبوس .
(٧) في رواية : سفر الاعجيرب .

والمتهم بالتحريض على قتل الملازم هدكار وخمسة من رجال المدفعية البريطانيين على المركب كرين فلاي •

البند الثاني - اما بشأن الافراد الذين لم يكن لهم علاقة بفتنة سنة ١٩٢٠ ولكنهم معتقلون أو منفيون أو شاردون لأسباب متعلقة بجرائم سياسية ارتكبت قبل الفتنة المذكورة ، فقد خول فخامة المندوب السامي مبدئياً أن يشملهم بالعفو على أن ينظر في أمر كل منهم على حدة وبحسب استحقاقه عند تقديم صاحب الشأن طلباً رسمياً الى أقرب ممثل بريطاني والى فخامة المندوب السامي رأساً •

● ● ●

وببركات هذا البيان بقي الشيخ ضاري والذين معه خارج المدن والقصبات في عصمة شمال الجزيرة على الحدود المشتركة بين العراق وسوريا وهم يكابدون حياة التشرد •• زهاء سبع سنوات باستثناء درع ابن ظاهر الذي عاد الى بغداد بعد صدور العفو عنه •

وتكاثر نسل زوبع في هذا المهجر ، بالرغم من صعوبة الحياة وشظف العيش • وحسبنا تدليلاً على هذا التكاثر أن كردي ومحمد ومحمود أبناء سليمان بن الشيخ ضاري ولدوا هناك •• في مراتع نصيبين !!

في سنجار

كان سليمان وجماعة من رجال زوبع ونسائها يعيشون مع لفيف من عشيرة شمّر جنوب سنجار • وفضّل الشيخ ضاري البقاء في قرية كفرتوثا بالجزيرة مع ولده خميس •

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٢٧ وقع ضاري مريضاً ، فقرر الذهاب الى حلب للاستشفاء • واستكرى لهذا الغرض سيارة رجل أرمني اسمه ميكائيل كريم (١) •

وقد سبق للحكومة الانكليزية أن أرصدت عشرة آلاف ربية لمن يأتي بالشيخ ضاري حياً أو ميتاً ، فسوّلت نفس السائق الأرمني أن يكون رابح هذا المبلغ • فهو قد عرف ضاري ، ولذلك أكثر من التردد على البادية للكيد له تمهيداً لالقاء القبض عليه • وظل يشتغل في سيارته مدة طويلة في الانحاء التي كان ضاري يختلف اليها ، وينتقل من مكان الى مكان ، ويحمل بعض الأعراب من موقع الى آخر • وعرف ، ذات يوم ، أن ضاري يريد السفر من الحسكة الى

---

(١) حاول السر ارنولد ولسن أن يموه على الناس حقيقة هذا السائق حين جعله عربياً •• ولكن الأب انستاس الكرملي رسخ على انه من تبعة الجمهورية التركية •

مكان يعرف بأبي حامضة في الجزيرة [١] ، وعرف انه أحوج ما يكون الى سيارة •• ومن هنا عزم على تدبير المكيدة ، فأوعز الى أحد أقاربه المترددين على تلك الجهات ، وقيل انه والده ، بانتظار سيارته التي ستحمل ضاري في موقع جرى الاتفاق عليه بينهما [٢] •

وركب ضاري هذه السيارة دون أن يرافقه أحد من أبناء عشيرته لأنه كان مطمئناً على نفسه ، وحسن الظن بهذا السائق الذي اعتاد ركوب سيارته في مناسبات كثيرة •• وبعد أن دفع ضاري اليه الاجرة كاملة سارت به السيارة برهة من الزمن •• وفي مكان ما في الطريق كان الأرمني الثاني المتواطىء مع السائق يقف منتظراً ، وحين اقتربت منه السيارة تكلف السرور بهذه الصدفة ، وطلب الركوب في السيارة متذرعاً بأن له شغلاً في تلك الجهات •

وبذلك تمت المكيدة ، ووقع ضاري في الفخ • وعلم يقيناً ان السيارة تنهب به الأرض الى غير الجهة التي يرومها ، فاعتورته الهواجس ، وأخذه الشك بسلوك هذين الشخصين، وشعر بأن الخطر قد أحدق به ••ولكنه لم يجد وسيلة للافلات • وتبين له ــ وهو الأعزل من السلاح ــ انهما يحملان النار والحديد ، وان السيارة تطوي به الأرض طياً بدون هوادة •• وهكذا رضخ للأمر الواقع ، وظل خاضعاً لمشيئة الله •• حتى أوصله الأرمنيان الى مخفر شرطة سنجار حيث أسلماه الى نائب المفوض صبري زكور في اليوم الثالث من شهر تشرين الثاني ١٩٢٧ •

---

(١) وأخبرنا الحاج سليمان بن ضاري بانه أراد السفر الى جنوب سنجار للاتصال به حتى يسافرا معاً الى حلب •

(٢) وقيل ان هذا السائق اغتنم الفرصة واتفق مع جاسوسين على خطة لتسليم الشيخ ضاري الى قوات الاحتلال •

وربح ميكائيل الجائزة ، فهاجر بها ـ كما ذكر المرحوم عبدالمنعم الغلامي ـ الى مصر ، ولم يعد الى العراق •

● ● ●

وكان سليمان ، في غمرة هذه الأحداث ، متأهباً للرحيل مع عشيرة آل ثابت من زوبع ، وكان رئيسها متعب آل حدب •• وعندما رحلوا شاهدوا ، في الطريق ، فارساً مقبلاً من بعيد • وحين اقترب اجتمع بالشيخ متعب وجماعة من زوبع ليخبرهم بالقباء القبض على الشيخ ضاري • وقد أوجس سليمان خيفة من تجمعهم بعيداً عنه وحسب ألف حساب لهذا الأمر ، وانتابه شعور غامض ، وظن ان وراء هذا الاجتماع ما وراءه ، ولربما أصبحوا هدفاً للغزو من حيث لا يحتسبون •

وأخيراً اقترب الفارس ، الذي حمل الخبر ، من سليمان وشجعه على أن يكون رابط الجأش عند سماع الخبر الفاجع •

ثم تابعوا المسير ولاحت لهم من بعيد احدى النقط العشائرية التي تعتبر تشكيلة شبيهة بالشبانة ، فبعثوا نحوها رسولاً للتأكد من المصير الذي انتهى اليه ضاري • ثم عاد الرسول وعلى وجهه امارة حزن •• وعند ذاك قالوا انا لله وانا اليه راجعون •• وبعد أيام حملت اليهم جرائد بغداد النبأ الحاسم ، وكان ذلك سبباً الى بقائهم مشردين في نصيبين والجزيرة حتى سنة ١٩٣٦ •

● ● ●

ولم يمكث ضاري في مخفر سنجار إلا أياماً معدودات ، لأن نائب المفوض صبري زكور قد أدخله بقساوة الى غرفة القائمقام يوسف نمرود رسام (الذي كان مشاوراً لحاكم البلد الانكليزي أيام

الاحتلال) • وحاول يوسف أن ينال من كرامة ضاري •• ولكن الشيخ زجره قائلاً : تأدب !!•• انك واطيء •

وقد أخبرنا المرحوم عبدالمنعم الغلامي بما دار بين ضاري ويوسف رسام نقلاً عن شاهد عيان • وهذا نصه :

قال يوسف مخاطباً ضاري : لقد مضى على جريمتك مدة طويلة• ومهما كان السبب أو الباعث الى ذلك •• فانه أصبح في ذمة الماضي •• وأنت الآن شيخ كبير ، وليس بمستنكر على بريطانيا ، وهي الدولة العظمى المعروفة بتسامحها ، أن تعفو عنك بعد أن وقعت في قبضتها •

فردّ عليه الشيخ ضاري قائلاً : اني الآن ، كما قلت ، شيخ كبير •• وضعيف القوى في الوقت نفسه ، ولو كنت حصاناً لم يبلغ ثمني أكثر من خمسة مجيديات ، فاذا جوزيت بعفو بريطانيا فالفخر لها •• لأن العفو عند المقدرة اكرومة نبيلة ، واذا لم تعفُ فالفخر لي لأنني خاصمت حكومة كحكومة بريطانيا المشهورة بعظمتها في سبيل امتي وبلادي • واعلم يا هذا انني لا أخاف الموت ، لأنه حق ولأن مذاقه واحد سواء كان في البيت أم في ساحة الحرب ، وانني إن متّ أو قُتلت •• فحسبي أبنائي وعشيرتي وهم كثيرون ولله الحمد ، ومَنْ كان مثلي لا يمكن أن يموت • **وان أبناء العراق الطيبين سيذكرونني وهذا من فضل الله عليّ وعلى أولادي وعشيرتي •**

● ● ●

وأرسل الشيخ ضاري ، بعد ذلك مخفوراً الى الموصل ، ومنها الى بغداد تحت الحراسة الشديدة في يوم من أيام كانون الأول سنة ١٩٢٧ •

المحاكمة

وفي بغداد لم تسمح السلطة القائمة للشيخ ضاري بالمعالجة والتداوي رغم شيخوخته وتدهور صحته • وفي ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٨ حوكم أمام محكمة الجزاء الكبرى ، وأصدرت عليه الحكم بالاعدام شنقاً حتى الموت في ٣٠ كانون الثاني بالرغم من مطالبة الادعاء العام ببراءته ، ثم استبدل قرار الاعدام بالسجن المؤبد • وقد تطوع في الدفاع عنه بعض المحامين الوطنيين •

وسنثبت ، هنا ، نصوص المحاضر الخاصة بمحاكمته دون اسقاط ولا تعديل ولا اضافة •• رعاية للامانة التاريخية وسنشير في الهوامش الى ما ينفع القراء ويضيء بعض النصوص •

كانت المحكمة مؤلفة من المستر جون بريجارد (رئيساً) ويوسف أفندي جميل (١) وأحمد طه أفندي (أعضاء) والمدعي العام خالد أفندي الشهبندر •

وجيء بالشيخ ضاري مخفوراً ، وادخل قفص الاتهام وحضر

---

(١) هو يوسف جميل خوشابة •

المحاكمة محامو المتهم ، وهم داود السعدي وأمجد الزهاوي وعلي محمود وياسين قدوري .

وتجمهر الناس لرؤية الشيخ وسماع محاكمته ، فاكتظت قاعة المحكمة بالسامعين وقد منع أغلبهم من الدخول . وبدأت المحكمة تستمع الى افادات الشهود .

وبعد أن قرئت صورة الاتهام نودي الشاهد واسمه خلف ، فأتى ، وحلف اليمين القانونية ، وأفاد انه كان من عسكر الشبانة في يوم مقتل الكولونيل لجمن . وكان الكولونيل المذكور قد جاء نقطة أبي منيصير حيث وقعت الحادثة ، وأمر المفوض عبدالجبار افندي أن يرسل ويستدعي الشيخ ضاري ، ثم رجع الى بغداد ، فأرسل عبدالجبار وراء الشيخ ضاري . وفي اليوم الثاني صباحاً حضر الشيخ ضاري ومعه ٢٥ خيالاً ، ثم جاء الكولونيل لجمن من بغداد فاجتمع به في النقطة المذكورة ، وكانا يتحادثان ولا أعرف ماذا كانا يتحادثان به ، وبعد ذلك حضر اوسطه فيزان وأخبر الكولونيل بأن الطريق اندك [1] وان المجارية [2] سلبوا . فأمر الكولونيل لجمن الشيخ ضاري بأن يركب ولده خميس مع أفراد من جماعته بصحبة المفوض والشرطة لتعقيب الجناة بدعوى ان العرب الذين غزوا الطريق هم من عرب الشيخ المذكور ، وبعد ذلك أطلقت طلقات نارية خمس سوية ولا أعرف رصاصة من أصابت ولا كيف أصابت ، وبعد ذلك أتى العرب وكتفوني وأدخلوني الى داخل ، فرأيت الكولونيل لجمن مقتولاً ومطروحاً في المجاز ، وكان بعيداً مقدار خمس خطوات . وكان الشيخ ضاري مستلاً سيفه واثنان واقفين بجانب القتيل ، ثم

---

(١) دهمه قطاع الطرق .

(٢) جمع مجاري وهو المكاري الذي يؤجر دوابه .

سلبوني وأخذوا مني سلاحي ، وكانت السيارة قدام الباب ، ولما خرجنا رأيت سائق السيارة مذبوحاً تحت السيارة ، ولا أعرف كيف قتل هذا السائق . وبعد ذلك توجهنا الى الفلوجة ومعي المجارية والعسكر وقد اطلقوا سراحنا وخلوا سبيلنا ، وبعد مسافة نصف ساعة من المخفر كان حسن خادم الكولونيل لجمن بعيداً ورائي مسافة خمسين خطوة بسير ، فسمعنا طلقة نارية ، ونزل أحد الخيالة ورفع حسن قتيلاً ، ولا أعرف من قتله وكذلك لا أعرف الخمسة أشخاص الذين كانوا مع الشيخ . وأنا كنت قد رأيت سيف الشيخ ولم أر عليه آثاراً للجناية وكنت آني [1] حين دخلت النقطة رأيت الشيخ واقفاً ولم اسمع منه كلاماً . وقد كان الشيخ موجوداً عندما سلبونا غير اني لم أعرف مكان وجوده . ولما قتل الكولونيل سمعت كلمة (لا .. لا .. لا ..) غير اني لا أعرف القاتل ولا مَنْ هو ولم أر الشيخ يتكلم مع الرجال الذين سلبونا ، وأنا ما قلت للشرطة الذين أخذوا افادتنا بوقته اني أعرف الشخصين اللذين عقّبانا حين توجهنا الى الفلوجة . وقد كان مع الشيخ عشرون شخصاً على ما أظن وكلهم مسلحون بالبنادق . وكان سيف ضاري معلقاً غير مسلول ، وقد كانت الساعة التي قتل فيها لجمن بين الرابعة والسادسة عربية .

ثم نودي الشاهد الآخر واسمه عبدالهادي بن أحمد ويسكن الفلوجة ، فأتى وحلف اليمين القانونية . وأفاد أنه يعرف الشيخ وأنه كان حارساً في النقطة ، وقد جاء الكولونيل وطلب احضار الشيخ ضاري ، فذهب اثنان من المجارية . وثاني يوم رجعا ، وبعد نصف ساعة من رجوعهما جاء الشيخ ومعه عشرون أو ثلاثون شخصاً خيالة ، وكنت أنا بعيداً عن النقطة مسافة عشر دقائق ، وثارت خمس

---

(١) أنا .

جيلات [1] ولا أعرف مَن آثارها • وبعد مدة جاء رفاقي فرأيتهم مسلوبين ، ثم جاء العرب وسلبوني وأخذوا سلاحي ، ثم هربنا الى الفلوجة فتبعنا شخصان وكانا مسلحين الواحد بالسيف والمسدس والآخر لا أعرف ، وكانا بعيدين عني بحيث لم استطع تشخيصهما • ثم قتلا حسناً خادم الكولونيل • وبعد ذلك وصلت الفلوجة ، ولا أدري ماذا صار بعد ذلك ، وأنا ما قلت في افادتي أمام شرطة الفلوجة ان ضاري ضرب حسن ، ولم أقل ان أحد الشخصين اللذين تبعانا كان ضاري • وأنا ما رأيت الشيخ ضاري في النقطة ، وقد وجدت العشائر من بعيد ولم أشخصهم ، ثم وصلت الفلوجة فبغداد ولم أخبر أحداً بشيء مما صار • وعندما قتل حسن خادم لجمن سألت من رفاقي عمن قتله ، فقالوا لي ان أحد الشخصين اللذين قتلاه كان الشيخ ضاري وأنا ما رأيته •

ثم نودي الشاهد الأخير واسمه مهدي بن حاج كاظم وهو يسكن الفلوجة ، فأتى ، وحلف اليمين القانونية ، وأفاد انه كان صانعاً لاوسطه فيزان سائق سيارة ، وقال : اننا وصلنا الفلوجة •• وعند الضحى وصلنا خان ضاري ، فنزل اوسطه فيزان لأنه عرف أشخاصاً لاقونا فنزل وسلَّم عليهم ، وأنا أخذت أضع ماء في الماكينة ، ثم سرنا متجهين الى بغداد ، فحصل لنا پنچر [2]، فجاءتنا سيارة تحمل الكولونيل لجمن ماشية الى الفلوجة ، فوقفت وقال لنا الكولونيل : ماذا تحتاجون اليه ؟• قلنا : لانحتاج الى شيء • قال لنا : طريق الرمادي أحسن لكم • وبعد ذلك سرنا ، فلاقانا مجارية يبكون ويقولون لنا : ارجعوا •• الحرامية في الطريق • وبعد ذلك رجع فيزان الى

---

(١) طلقات •

(٢) ثقب يحصل في مطاط دولاب السيارة •

النقطة وأعطى خبراً بهـذا الأمر ، فجاءت الشبانة ومعهم المفوض عبدالجبار ، وكذلك كان معهم عرب ، وكانوا يصيحون خميس فركب معهم ، وبعد ذلك مشينا ، وحركنا قاصدين بغداد ، فحصل لنـا بنجر في الطريق ، فرأينا ثلاثة خيالة مسلحين واقفين لنا ، فوصلوا ، وقالوا لنا : اعطونا ماء ، فأعطيناهم ، فقالوا : أين صاحب الماكينة ؟.. وأخذ أحدهم بندقيته ليضربني ، فرميت نفسي عليه دخالة وطلبت منه ألا يقتلني ، وكان معه تفنك [1] عدد (٢) ، فقال : هذه التفنك اتركوها عندكم ، فانها تخص الحكومة ، وامشوا وقولوا : نحن بوجه دحام . وبعد ذلك رجع خيالة عرب ومجارية وما كان معهم سلاح يصيحون نحن بوجه خميس ، ولم يكن معهم بنادق ، وسمعت شخصاً يصيح : لا تخافوا .. ما عليكم شيء ، فقام واحد يسمى دحام ، ونزل واحد آخر يسمى صليبي ، وقال : امشوا بأمري . وركب معنا الى أراضي العبّادي . وبعد ذلك قدّم لنا دحام طعاماً ركي وخبز ، فقلت له : يا شيخ !.. اطلقنا . فقال : لا أطلقكم حتى تجيء الفرس . وبعد ذلك جاءت الفرس ، فأطلق سبيلنا ، فرجعنا الى الفلوجة . ودحام هو رجل سمين ، بدين ، أسمر ، ربعة . وهو ـ بعد ذلك ـ أخذ البندقيتين . ولا أعرف خميس . ولما جاءنا دحام قال لنا : أنتم تعرفون اننا سوّينا الكولونيل لجمن مركي (يعني مائتاً) . وبعد ذلك رأيت شخصاً حاملاً سيفاً بالقرب من المخفر حيث نقطة أبي منيصير ، ولم أكن في المخفر حين قتل لجمن .

• ثم نودي الشاهد الآخر واسمه ارميض بن زعيم ، فأتى وحلف اليمين القانونية ، وأفاد ان الكولونيل لجمن أتى من بغـداد وأمر المفوض عبدالجبار بأن يُحضر الشيخ ضاري ، فأرسل المفوض وراء

---

(١) بندقية .

الشيخ ، وفي اليوم التالي حضر الشيخ النقطة ، وأنا لا أعرف المتهم ،وقد تواجه الكولونيل معه ، وأنا أقول هذا سماعاً لأني لا أعرفه • وبعد مجيء الكولونيل بساعة سمعت طلقات نارية وبعد ذلك صار هوسة ، فخرجت من المطبخ ، لأني كنت طباخاً لأرى ماذا حدث ، فلزمني العرب مع رفاقي وكتفونا وأخذوا أهدومنا (١) ، فرأيت الكولونيل نائماً على عينه بالقرب من الباب تجاه المجاز ، وكان حواليه عرب كثيرون ، وأنا لا أعرف بماذا ضُرب ولا كيف ضُرب • وبعد ذلك هربنا قاصدين الفلوجة ، وبعد مقدار ساعة لحقنا شخصان ولا أعرفهما، فأطلق أحدهما طلقة نارية على حسن خادم الكولونيل ، وأنا أعرف حسن ، وكنا نركض وحسن وراءنا غير اني لا أعرف أي الشخصين قتله ، وأنا ما شاهدت ضاري ، وكذلك ما رأيته في النقطة ، لأني ما كنت أعرفه سابقاً •

ثم نودي على الشاهد الآخر واسمه أحمد بن جمعة فأتى وحلف اليمين القانونية ، وأفاد انه يعرف الشيخ ضاري ، وان في الساعة العاشرة عربية جاء الكولونيل وأمر المفوض عبدالجبار باحضار الشيخ ضاري ، فركب اثنان من الخيالة وذهبا في طلب احضار الشيخ ، وعند الصباح رجعنا • وبعد ربع ساعة من حين رجوعهما جاء الشيخ ومعه مقدار ١٥ أو ٢٠ خيالة • وبعد مدة جاء الكولونيل لچمن من بغداد • وكان هو يسوق سيارته ، فدخل المركز ، وتسالم مع الشيخ ضاري ، وبعد قليل جاء سائق سيارته ، وأخبر الكولونيل بأن المجارية تسلبوا (٢) ، فأمر الكولونيل الشيخ ضاري بأن يرسل ابنه خميس لتعقيب الغزاة ، وكذلك ركب معه خيالة ، فذهبوا ، ودخلت أنا الى

(١) ملابسنا •
(٢) سُرقوا •

المطبخ مع ارميض بن زعيم لأصنع طعاماً ، وفي الساعة السادسة عربية ثارت خمس طلقات ، فقمنا ، وخرجنا لننظر ماذا حدث ، فألقى العرب القبض علينا ، وكانوا يعملون هوسة ، وكان عددهم فوق الخمسين شخصاً ، وكان منهم من يطلق طلقات ، فكتفونا ، وأخذوا ثيابنا ، وقد رأينا الكولونيل مقتولاً بالمجاز ، ولكننا ما رأينا الشيخ ضاري • وكانت السيارة بعيدة مسافة عشر خطوات عن المركز ، ثم توجهنا نحو الفلوجة ، وبعد مسير ساعة لحقنا شخصان من الخيالة ، وأطلقا طلقة نارية على حسن ، ولا أعرف من أطلق منهما تلك الطلقة ، فوقع حسن على الأرض ، ولكن لا أعرف الشخصين ، وكانا بعيدين عني بمقدار عشرين خطوة ، وكانا مقنعين ، ومعهما ثلاث بندقيات • وبعد ذلك وصلنا الفلوجة ، واعطينا خبراً • قلت ان الشيخ ضاري أطلق تلك الطلقة على حسن ، وأنا لا أعرف أولاد ضاري ، ولم اشاهد خميس حين الهوسة ، وقد كان الكولونيل جالساً على الدكة ، ولم اشاهد جرحاً في الكولونيل بعد قتله •• ولكني رأيت دماً •

ثم نودي الشاهد الآخر واسمه مشحن بن حردان ، فأتى وحلف اليمين وهو رئيس عشيرة ، فأفاد انه يعرف الشيخ ضاري ، وقال : جاءني خطّان [1] معنونان باسم والدي وممضيان [2] بالامضاء الذي ترونه وعليهما سواد •• اشارة الى طلب الالتجاء • ولم يكن ضاري سابقاً يكاتب والدي ، وأنا لا أعرف بخط مَنْ كتبهما ، ووالدي قال : اني سأعطيها للحاكم لأني أخاف أن تكون من جاسوس أم غير واحد ، فسلمت هذين الكتابين الى الحاكم السياسي في الرمادي، وهذا صار بعد قتل لجمن بيوم أو يومين ، ثم أخذوا والدي ، ولم

(١) رسالتان •
(٢) موّقعان •

أكن أنا حاضراً حين وصول هذين الخطين الى والدي ، وكذلك لا أعرف بخط مَن كتبا .

ثم نودي الشاهد الآخر واسمه صليبي بن كريم ، وأفاد أنه لا يعرف المتهم ، وانه كان في سيارة ذاهباً من الرمادي الى المخفر ، فحصل لهم پنچر في الطريق ، فمرت سيارة الكولونيل ، فوقفت ، وقال لهم الكولونيل ماذا يحتاجون ؟ قالوا : لا نحتاج الى شيء . فقال لهم « الطريق ما هو زين » . قال الشاهد : وبعد ذلك وصلنا الى المخفر ، فرأيت الكولونيل بالقرب من الباب ، ومعه عرب وعسكر ، ولا أعرف منهم أحداً . وكان بعضهم جالسين وبعضهم واقفين ، ولا أعرف هل كان الشيخ بينهم أم لا . وبعد ذلك رجعنا . وفي الطريق حصل لنا پنچر مرة اخرى ، فجاءنا أربعة أشخاص ، وطلبوا منا ماء ، وشربوا ، وذهبوا ، ثم رجع الينا واحد منهم يحمل بندقية ، وأنزلني من السيارة ، وركب مكاني . وكان بدينا أسمر .. أنزلني ، وركب مكاني ، وترك فرسه بيدي ، ثم ذهبت السيارة ، وقبل أن اركب الفرس جاء خيال وأخذ الفرس مني ، وذهب الى جهة العرب . وذهبت أنا أيضاً الى العرب ، وثاني يوم ذهبت الى الفلوجة ، ثم ذهبت الى الرمادي ، ولا أعرف المتهم ولم اشاهده .

ثم نودي على الشاهد الآخر واسمه عبدالامير بن أحمد ، فأتى وحلف اليمين القانونية ، وأفاد قائلاً : اني كنت شبانة في النقطة فجاء الكولونيل ، وأمر عبدالجبار المفوض باحضار الشيخ ضاري ، فأرسل المفوض وراءه . وفي اليوم الثاني صباحاً حضر الشيخ ضاري النقطة ومعه عرب بينهم ولد الشيخ المسمى خميس ، وكان عددهم عشرين نفراً ، وكان البعض منهم مسلحين والبعض غير مسلحين . وسلاحهم كان البندقيات ، وبقوا في الخان . اما الشيخ ضاري فجاء

الى المركز وفي الساعة الثالثة عربية جاء الكولونيل لجمن ومعه سائق السيارة والخادم حسن ، فنزل وتسالم مع الشيخ ضاري ، وجلسا على الدكة متقابلين وكنت أنا في القشلة ، وكانا جالسين في المجاز ولا أعرف بماذا كانا يتكلمان ، ولبثا نصف ساعة ، وبعد ذلك جاء اوسطه فيزان ، وقال للكولونيل : يا صاحب .. طريق بغداد اندك . فأمر الكولونيل المفوض عبدالجبار أن يركب للتعقيب ، وأمر الشيخ ضاري بأن يذهب خميس ولده مع المفوض للتعقيب ، فركبا مع العسكر وبعض العرب ، وذهبوا جميعاً . ولبث الكولونيل جالساً مع الشيخ ، وبعد مدة سمعت صوت عشرين طلقة تقريباً ، وأنا كنت بعيداً عن النقطة مقدار ربع ساعة . وبعد ذلك سلبني العرب وذهبت مع رفاقي خوفاً الى جهة الفلوجة ، ومشينا مقدار ثلاثة أرباع ساعة ، فلحقنا اثنان من الخيالة العرب ، وكان أحدهما حاملاً بندقيتين أو ثلاثاً ، وكان معه سيف ، فأخذ بندقيـة من الشخص الآخر ، ثم أطلقت طلقة ولكن لا أعرف أي الشخصين أطلقها ، فوقع حسن خادم الكولونيل قتيلاً ، ولا أعرف ان المتهم أطلقها ، ولا أعرف لماذا أخذ بندقية من صاحبه ، وكنت بعيداً عن حسن مقدار عشرين خطوة تقريباً ، ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك ، ولا أعرف هل كان الشخصان مقنعين أم لا . وبعد ذلك توجهنا الى نقطة أبي غريب ، وأنا لم أقل في إفاداتي ان الشيخ ضاري قتل حسناً خادم الكولونيل ، وليس هذا في فكري ، ولا أدري مَنْ قتله ، ولا أعرف الشخص الذي كان مع الشيخ .. فقـد كنا خائفين ، ورأيت المجـارية والكولية [1] يهربون ، فهربت معهم . وفي الفلوجة سمعت بقتل لجمن ، ولم أخبر الحكومة بهذا . وقد قبضت معاشي في بغداد بعد عشرين يوماً .

---

(١) العمال .

ثم نودي الشاهد الآخر واسمه محمد بن علي وكان فراشاً في الشرطة ، فأتى وحلف اليمين القانونية ، وقال : كنت في نقطة أبي منيصير ، فجاءنا الكولونيل لجمن ظهراً ، وطلب من عبدالجبار إحضار الشيخ ضاري وفي الصباح من اليوم التالي جاء الشيخ ومعه جماعة يبلغ عددهم السبعة والعشرين شخصاً أو الثمانية والعشرين ، وبقوا في الخان ، وبعد ذلك جاء الكولونيل لجمن وأمرنا بالخروج ، وقال لنا : ارموا سلاحكم . عندي كلام مع الشيخ ضاري ، فرمينا اسلحتنا أنا والعسكر والشرطة ، وابتعدنا مسافة ثلاثين خطوة ، فدخل الكولونيل الى المجاز ، وبعد ذلك جاء اوسطه فيزان ، وأخبر الكولونيل خبراً ، فأمر المفوض ان يركب للتعقيب ، فركب ، وركب معه خميس ، ومعهما خيالة بين ١٤ - ١٥ وذهبوا للتعقيب ، وأنا كنت واقفاً في النقطة أمام باب المجاز ، وبعد قليل ثار الهيجان ، فرجعت وسمعت صوت ثلاث أو أربع طلقات ، وكنت بعيداً عن مكان اطلاقها ، فرجعت ووجدت عبيداً أربعة أو خمسة ، فلزموني ، وسلبوني ، ثم وصلت النقطة ، فشاهدت الكولونيـل مقتولاً ، ورأيت ربعي[1] مسلبين ، ورأيت دماً يجري من الكولونيل ، وشاهدت الشيخ واقفاً خارج النقطة بعيداً مسافة ثلاثين خطوة تقريباً . وكان الشيخ حاملاً سيفاً ، والعرب حوالي جثة الكولونيل ، وكان سليمان ولد الشيخ واقفاً في الخارج وبيده زمام فرسه ، وكان خميس قد ذهب مع العسكر للتعقيب ، وكان سائق سيارة الكولونيل مضروباً برصاصة مقتولاً ، ولا أعرف مَنْ قتله . وبعد ذلك توجهنا الى الفلوجة هاربين ، فلحقنا شخصان واطلقت منهما طلقة ، فقتل حسن بها ، وكنت بعيداً عن حسن مسافة خمسين أو ستين خطوة . والشيخ ضاري ضرب حسن ،

---

(١) جماعتي .

وكان ملثماً مع صاحبه ، وكان بعيداً عن حسن مسافة عشرين خطوة، ثم توجهنا الى جهة العرب ، ولم يقتل أحد غير حسن ، وكانت فرس أحد الشخصين شهلاء ، والاخرى لا أعرف لونها ، وأنا سمعت الطلقة النارية ، فالتفت وشاهدت ان ضاري أطلقها • وقال رفاقي أيضاً أن ضاري أطلقها •

ونودي الشاهد الآخر واسمه حمادي بن خلف ، فأتى وحلف اليمين القانونية ، وقال : كنت شبانة ، فجاء الكولونيل لچمن وطلب احضار الشيخ ضاري من المفوض عبدالجبار ، وعند الصباح من اليوم التالي حضر الشيخ ضاري النقطة ، ثم حضر الكولونيل ، فقام الشيخ واستقبل الكولونيل ، ثم جلسا سوية على الدكة يتحادثان ، وبعد ذلك جاء اوسطه فيزان ،وأخبر الكولونيل بأن الطريق انقطعت ، فأمر الكولونيل المفوض والشرطة أن يتعقبا قطاع الطريق ، وركب معهم خميس بن الشيخ ضاري ، وأنا كنت على السطح ، وبعد مدة سمعت صوت ثلاث طلقات نارية فرجعت ، فلزمني عشرون عبداً وأخذوا يسلبونني ، وأخرجوني فرأيت لچمن مطروحاً ، وشاهدته مضروباً برصاصتين في ظهره ، وشاهدت سائق السيارة مضروباً برصاصة ، ولا أعرف من ضربه ، وحين صعدت الى السطح كان الكولونيل وضاري فقط ، ثم رأيت الشيخ ضاري واقفاً بعد الحادثة حاملاً سيفاً فقط ، ولم يكن شيء بيده ، وبعد ذلك توجهنا الى الفلوجة ، وجاء حسن معنا ، وبعد مسافة نصف ساعة من النقطة لحقنا خيّال مكشوف الوجه حامل بيده بندقية ، وجاء وضرب حسناً • وكان هذا الخيّال ضاري ، ولما ضربه قال لنا ضاري : أنتم الزموا دربكم وروحوا • وكان حسن قدّامي وأنا وراءه ، وقد ضربه ضاري على بعد أربع خطوات • وقد دخل ضاري بيننا وضربه •

وسئل الشاهد عن انه قال امام حاكم الجزاء بأن ضاري كان بعيداً مقدار خمس دقائق عن حسن ، فأجاب بأنه لا يعرف المسافة بالضبط ، وقال : ان ضاري ضربه ، وأنا متأكد بذلك ، والشبانة كانوا قدامي والشاهدان الحاضران كانا معي وبجانبي حين قتل حسن .

ثم نودي الشاهد الآخر واسمه اوسطه فيزان بن قره‌قاش ، فأتى وحلف اليمين القانونية ، وقال : اني أعرف المتهم ، وكنت أسوق السيارة ، وطلعت من الفلوجة ذاهباً الى بغداد ، وكان معي ركاب . وأنا أعرف أولاد الشيخ ضاري ، فشاهدت خميس وسليمان ، فتسالمت معهما ، وتكلمت معهما ، فقالا لي ان طريق بغداد ماهو زين ، ثم توجهت نحو النقطة ، فشاهدت الشيخ وسلمت عليه ، ثم جاءنا شرطي ، وأعطاني نقوداً لاشتري له غرضاً ، ورجعت ، فحصل لي پنچر ، فمرت سيارة كولونيل لچمن ، فلما رآني وقف وسألني قائلاً : مابك ؟. قلت : پنچر في سيارتي ، فقال : هل تحتاج الى شيء ؟. قلت : لا : فقال : ان طريق الرمادي أحسن من طريق بغداد . وأنا مشيت حتى وصلت سدة الترك ، فرأيت اناساً ، فقالوا لي : اوسطه فيزان ارجع .. الحرامية سلبونا ، فرجعت بالسيارة الى النقطة ، فعرف الكولونيل معنى رجوعي ، فقال : اسألوه لماذا رجع ؟. فجئت وأخبرته بأن الطريق اندك . فأمر الكولونيل المفوض عبدالجبار بأن يركب معهم ، فقالوا : بأمرك . وأخذ خميس معه رجالاً من رجاله ، ومشوا ، وبقيت أنا .. ولكن الركاب طلبوا المشي والرجوع ، فرجعت بالسيارة ، ومعي الركاب ، ومشيت مسافة ، فحصل لي پنچر آخر ، فرأيت أربعة رجال خيالة آتين من وجهة النقطة ، وكان أحدهم سليمان بن ضاري ، وطلبوا منا ماء ، وقال أحدهم : ان لچمن صار مرگي . وبعد ذلك راحوا وجاء خيّال آخر

من جهة النقطة ، ومعه ثلاث بندقيات ، وأراد أن يضرب أحد الركاب فوقع عليه الراكب دخالة [1] ، فقال له : لما سألتك عن العسكر في الرمادي فلماذا لم تفدني ولم تجبني ؟• فقال له الراكب : ما كنت أعرف • ثم عرفني الاشخاص بأنه كان دحام ، وهو رجل سمين كبير عريض الوجه ، ولا أعرف لونه • ثم قال لنا : أنا أترك هذه البندقيات في السيارة ، ثم سألنا عن الخيالة الشرطة ، فقلنا له : لا نعرف أين ذهبوا • وبعد مدة رجع الخيالة البوليسية وهم يصيحون : نحن بوجه خميس • وأنا لم أتكلم مع خميس • ثم قال لنا الخيال : أنا تعبان ، فليركب أحدكم الفرس وأنا اريد أركب في السيارة • فنزل أحد الركاب ، ولزم الفرس ، وركبَ الرجلَ بجانبي ، فمشت السيارة في الطريق التي أرادها ، حتى وصلنا الى العرب ، فنزلنا في الخيمة • وقد قدّم لنا خبز وركي • وبعد ذلك طلبنا الرجوع ، فقال لنا الرجل : أنا لا أترككم تذهبون حتى تأتي الفرس • وبعد مدة جاءت الفرس ، واسترخصنا منه ، ورجعنا ومشينا والركاب بقوا في العرب ، وأنا ضيعت الطريق فجاء الرجل الشايب ، ودلني على الطريق ، وبعد ذلك وصلنا النقطة قبل الشرطة ، ولم يقل لي سليمان اني قتلت لجمن غير ان أحد الاشخاص الذين لاقونا في الطريق قال لنا : ان لجمن صار مركي •

ثم نودي الشاهد الآخر واسمه عبدالجبار الجسّام ، وكان هو مفوض الشرطة ، فأتى وحلف اليمين القانونية • وقال : في أواخر سنة ١٩٢٠ كنت مفوضاً للشرطة في نقطة أبي منيصير ، فجاءني الكولونيل لجمن ، وأمرني باحضار الشيخ ضاري ، فأرسلت نفرين وراءه • وفي صباح اليوم الثاني رجع النفران ، ثم جاء الشيخ ضاري

---

(١) أي : التمس حمايته •

بعد رجوعهما بثلاث ساعات ، ومعه أولاده خميس وسليمان وصليبي وشخص آخر اسمه دحام وشخصان آخران لا أعرفهما ، وبقوا في الخان • اما الشيخ فقد حضر النقطة ، وبعد ذلك جاء الكولونيل من بغداد ، وأخذ يتحادث مع الشيخ وكنت حاضراً أنا ، وكان يقول للشيخ : يوجد ثورة في كربلاء ثم تحادثا عن الزراعة ، وبمسألة سيارة اوسطه فيزان • وبعد ساعة رجعت سيارة اوسطه فيزان ، وأخبر فيزان الكولونيل بأن المجارية تسلبوا • فقال الكولونيل للشيخ : هذه كلها حركاتك وانك تعمل تشويشات في الطريق ، ثم أمرني بأن أتعقب الغزاة ، فركبت مع اثني عشر خيالاً ، ومشيت مسافة عشرين خطوة ، فناداني بالرجوع ، وقال : خذ معك خميس بن الشيخ ومعه خيالة من رجال لا أعرفهم ، فمشينا ووصلنا سدة الترك فلم نجد أحداً لكني رأيت المجارية مسلبين ، فرجعت وقبل أن أصل النقطة بخمس دقائق رأينا سليمان بن الشيخ ومعه خيالة ، فسأل خميس سليمان أخاه : اشلونك [1] ؟• قال : زين • فأخذ العرب التفك [2] من العسكر ، وأخذ خميس يحافظ العسكر • والعرب لم يضروا العسكر بشيء ، فقط أخذوا منهم التفك ، وأمر سليمان عبداً أن يأخذ مني مسدسي ، فأخذه مني ، وقال سليمان : أنا قتلت لجمن • وحضر خميس وبقي المسدس عنده حتى وصلنا النقطة • وقبل وصولنا اليها قال خميس لسليمان : لماذا قتلتم هذا السائق المسكين ؟ فقال سليمان : أنا لم أقتله ، ولكن الذي قتله هو العبد الملعون • ثم دخلت المخفر، فوجدت الكولونيل مقتولاً برصاصات كثيرة ، وكان في رأسه جرح بسيف أو خنجر ، ولا أعرف كم رصاصة أصابته ، وكان الدم يسيل منه • وبعد ذلك مشيت وأنا خائف الى بيت ضاري ، وكان معي

(١) كيف حالك ؟

(٢) البنادق •

خميس ، وبقيت عند الشيخ ضاري ساعة • وكان العرب يهوسون ، وكان سليمان وصليبي وغيرهم يقولون : نحن قتلنا لجمن • وبعد ذلك رجعت الى بيتي ، وبقيت عند والدي ليلة • وفي اليوم التالي عصراً رجعت الى الفلوجة ، ولم أر أثراً لموظفي الحكومة هناك • وبقيت أنا احافظ الأهلين مع بعض رجال عشيرتي • وسمعت في الفلوجة ان الشيخ ضاري قتل حسن • والعرب كانوا من عشيرة زوبع • وكانت تأتينا الأخبار بأن الشيخ ضاري انهزم •

ثم نودي الشاهد الآخر واسمه محمد بن حسين ، وهو قد حكم عليه بالحبس لسرقته فرساً ، فأتى وحلف اليمين القانونية ، وقال: اني بعت مطيتين الى ابن أخ ضاري باحدى عشرة ليرة ، فأعطاني منها ليرة واحدة ، وبقيت عليه العشر ليرات ، ثم كنت أتوسل بضاري أن يتوسط لي بأخذ حقي من ابن أخيه ، فلم يفعل • وقد مضى على طلبي سبع سنوات وثلاثة أشهر • وفي يوم من الأيام كنت في عرب الشيخ اطالب بحقي ، فجاء نفران ، وقالا للشيخ ان لجمن يطلبك ، وبعد أربع ساعات جاء لجمن ومعه أشخاص ، فقال للشيخ : لماذا ماجئت ياشيخ ضارط ؟ قال له الشيخ : خوش آدمي أنا ، ماشيخ ضارط ، صير آدمي يا انسان (١) • ثم رجع لجمن مسافة ربع ساعة بالسيارة، فأخذ الشيخ ضاري سيفه ومسدسه ، وصاح : ياصليبي ، وأخاه الآخر لا أعرفه ، وملا زكي وفرح وداود وزيد و ١٨ شخصاً آخرين ، وقال لهم : ان لجمن ماهو خوش وياي (٢) ، وأخاف أن يرسلني الى لندن ، وقال لهم : عندما تصلون الى النقطة لاتبقوا في مكان واحد

(١) أي : انني انسان طيب ولست شيخاً ضارطاً ، فكن معي انساناً •

(٢) أي : انه لم يكن على وفاق معي •

بل تفرقوا • وبعد أن ذهبوا لحقتهم ، وأردت أن اقابل لجمن ، ولكني خفت • وأنا رأيت ضاري جالساً مع لجمن ، وأنا كنت أذهب وأجيء حتى احصّل حقي منهم ، ثم رجعت مسافة ربع ساعة ، فوجدت گعيطان ، فسلمت عليه ، فلم يجبني ، وكان ابنه وخادمه جالسين معه ، ثم مشيت ، فسمعت صوت ثلاثين طلقة ، فأسرعت ودخلت بين الرجال ، فرأيت لجمن مضروباً بطلقتين بيده اليسرى ورأسه • ورأيت سليمان وخميس وفرح وداود وزيد وملا زكي ، فقلت لهم : هـذا يهجم بيوتكم •• ماذا فعلتم ؟• فقالوا لي : انت روح •• هذا مو شغلك • وكنت لما وصلت الى مخفر الشرطة وجدت الكولونيل واضعاً يده على الباب يدفع ويصيح : يازي يا ضاري (١) •• يازي يا ضاري • وكان جرحه حاراً ، ثم وقع على الأرض قتيلاً ، وكانت السيارة قد غدت طحيناً من الرصاص ، ثم رجعت فوجدت الشيخ ضاري ينظف بعباءته بعيداً مسافة خمس دقائق ورأيت مقتولاً آخر قدّام النقطة أمام السيارة ، ولا أعرف مَن قتله • وأنا لم أتكلم بهذه الحادثة من مدة أربع سنوات ونصف •

● ● ●

ثم قرئت شهادة أحد الضباط الانكليز ، ومفادها : انه ذهب الى محل الحادثة ، وأخذ جثة الكولونيل والهندي ، وأتى بهما الى الفلوجة • وبيّن أن جثة الكولونيل كانت مصابة بطلقات نارية كثيرة •

وختمت الجلسة •

● ● ●

وفي الجلسة الثانية جيء بالشيخ ضاري مخفوراً ورجال الشرطة

---

(١) أي : كفى يا ضاري •

أمامه ووراءه وفي جانبيه ، وبأيديهم المسدسات والحراب . ودخل قاعة المحكمــة ، فادخــل قفص المتهمــين ، وهو لا يقـــدر على الوقوف على رجليه ، فجلس على كرسي ، وحضر المحامون عنه . وانعقدت الجلسة ، فطلب منه الحاكم افادته ، فقال بصــوت متقطع يشبه صوت المحتضرين :

كنت عند الغروب في بيتي فجاءني خيّالان من الشبانة ، وقالا لي : ان الكولونيل لجمن يطلبك . فقلت : بأمره . عند الصباح الشبانة معي ، وركب أيضـاً أولادي خميس وسليمان وأولاد أخي صليبي وصعب ، وشخص آخر اسمه دحام وبعض الخيّــالة من خدّامنا ، وهم خليف وطارش وسويلم ، فجئنا الى نقطة أبي منيصير ، فبقي رفاقي في الخان ، وأنا ذهبت الى النقطة ، وجلست مع عبدالجبار. ثم جاء الكولونيل بالسيارة ومعــه رجلان لا أعرفهما ، ثم تسالمت وجلست واياه بالمجاز على الدكة مقداراً من الزمان ، ثم قام الكولونيل وكانت قد جاءت سيارة ، لا أعرف لمن هي ، ثم قال الكولونيل لي : يا ضاري ان الدرب مدگوك [1] ، فليركب خميس مع العسكر . فقلت : فليذهب . قال لي : يمكن ان الذين دگوا الدرب هم من عشائرك . فقلت له : يا صاحب لا أعرف .. مِنْ ربعي أو غيرهم لا أدري . فقام عليّ يسبني ويشتمني وبصق في وجهي ، وأشهر عليّ المسدس ، ورفسني ، وكنت مريضاً في ذلك اليوم . وكنت أقول له : ترحّم عليّ يا صاحب .. أنا دخيل عليك !. ولكنه سحبني ، وألقاني في الحجرة ، وحبسني ، وغلق باب الغرفة ، وبعد مدة قليلة سمعت ثلاث طلقات أو أربعاً ، وكنت في داخل الغرفة . ثم جاء صليبي وفتح الباب ، فخرجت وشاهدت الكولونيل مقتولاً ، فاسترحت.

---

(١) مقطوع باللصوص .

هناك ، ثم جيء بفرسي ، فركبت ، وذهبت الى أهلي ، وبقيت في بيتي مريضاً ، وبعد ذلك هربنا من الحكومة مع ربعي الذين كانوا معي وولديَّ الاثنين ، وأولاد أخي الثلاثة ودحام معهم ، وذهبنا الى الجزيرة ومن الجزيرة الى ماردين . وسكنت أنا وأولادي وأولاد أخي هناك ثماني سنوات . وان دحام قد مات في الجزيرة يوم سافرنا الى ماردين .

الحاكم : وكيف جئت بعد ذلك ؟

المتهم : ركبت في السيارة ، والسائق أتى بي الى سنجار ، وكان في فكري أن اسافر الى حلب ، ومن حلب الى استانبول ، هكـــذا كان فكري .

الحاكم : مَنْ جاء بك الى سنجار ؟.

المتهم : الله .. الله .. جاء بي الى سنجار .

الحاكم : طيب !.. نرجع الى مسألة النقطة . لما كنت قاعد على الدكة مع الكولونيل .. مَنْ كان يمَك (١) ؟

المتهم : ولـدي سليمان وخميس . وخميس ركب وراح ، وسليمان سلّم وراح أيضاً .

الحاكم : عندما خرجت من باب الغرفة ، ورأيت لجمن مقتول ، مَنْ رأيت يم (٢) لجمن ؟

المتهم : رأيت سليمان ولدي ، وصليبي وصعب ودحام .

الحاكم : أما سألتهم عن الحادثة ، وكيف صارت ؟

---

(١) بالقرب منك أو بجانبك .

(٢) بالقرب من .

المتهم : لا .. لا .. ولماذا أسألهم ، وقد تحقق لديّ أنهم الفاعلون .

الحاكم : ومَنْ الذي قتل لجمن مِنْ بينهم ؟

المتهم : لا أدري أي رصاصة أصابت ، يمكن أحدهم ، هم كانوا أربعة ، ومن بينهم أُطلقت الرصاصة ، وأنا كنت داخل الحجرة ، ولا يمكن أن أعرف من أي واحد .

الحاكم : لما جئتم من العبّادي محلكم ، هل كان ربعك مسلحين ؟.

المتهم : كان بعضهم مسلحين ، وبعضهم غير مسلحين .

الحاكم : وأنت ، ماذا كان عندك من سلاح ؟.

المتهم : أنا كنت أعزل ، ولم يكن معي سيف ، ولا سلاح .

الحاكم : هل الاشخاص الذين كانوا معك ، كان مع أحدهم سيف ؟.

المتهم : لا أدري .. هل كان معهم سيف أم لا .

الحاكم : ولأي شيء قتلوا الكولونيل لجمن ؟ ما هو السبب ؟

المتهم : السبب .. أنهم رأوني محبوساً ، وهم جهال (١) ، ويمكن حدث بينهم وبين الكولونيل شيء فقتلوه .. وصار ما صار .

الحاكم : أنت ما تعرف السبب .. لماذا قتلوه ؟

المتهم : السبب ؟.. اذا كان هناك سبب ، فهذا هو السبب : الكولونيل سبّني ، وبصق في وجهي ، ودفرني (٢) ، وأشهر المسدس عليّ ، ولا أدري بعد .

---

(١) صغار السن .

٢) رفسني .

الحاكم : لما كنت في الغرفة .. كم انقضى من الوقت ، حتى أطلق الرصاص ؟

المتهم : في الغرفـة ؟.. لا أدري !.. خمس دقائق ... عشرة .. أكثر ، ما أدري ، وقد كنت دايخ ، لا أعرف .

الحاكم : أنت أعطيت إفادة في الموصل ؟.

المتهم : في الموصل ؟.. نعم !.. أعطيت افادة في الموصل .. ما كان عندي شعور ، كتفوني .. ضربوني .. كنت خائفاً .. كل دقيقة أقول الآن يقتلونني .

الحاكم : قلت في افادتك في الموصـل ان صـليبي وصعب قتلا لجمن .

المتهم : ما أدري .. قلت كنت وجعان خائفاً ، ما أدري .. اما في سنجار ما أعطيت هذه الافادة ، وبالموصل ما أدري .

الحاكم : عندما سدّ الكولونيل عليك الباب .. هل ترك عليك حارساً ؟.

المتهم : لا أدري ، وأنا حين خرجت من الغرفة لم اشاهد أحـداً .

الحاكم : لماذا سلب ربعك الشبانة ؟.

المتهم : أنا لا أدري شيئاً . يمكن أخذوا شيئاً من الشبانة ، وأنا ما رأيت أحداً .

الحاكم : أما رأيت السائق مقتولاً بعد خروجك من الغرفة ؟.

المتهم : أنا ما رأيت أحداً بعد خروجي من الغرفة ، ولم اشاهد سائق السيارة مقتولاً ، ولم أسمع مَنْ قتله .

الحاكم : ماذا جرى لحسن ، وقد شهد عليك الشهود أنك قتلته ؟.

المتهم : حسن ؟.. أنا لا أعرف مَنْ قتله ، ولم أسمع انه قتل في ذلك الوقت ، والشهود شهدوا عليَّ بأني قتلته ، وأنا لا أعرف ، وقد سمعت من الشهود بقتل السائق ، وأنا ما كنت قد سمعت بقتله قبل هذا .

الحاكم : قلت في افادتك في الموصل بأن الكولونيل أجبرك على أن يأخذك بالسيارة .

المتهم : كنت مريضاً في الموصل ، بلا شعور ، ومثل المجنون ، وكنت أقول هالساعة (١) يقتلوني .. هالساعة يقتلوني .

الحاكم : لما كان لجمن يسبّك ، ويدفرك ، أما استنجدت بأولادك وأولاد أخيك وغيرهم ؟.

المتهم : عندما كان يضربني ، ما كان أحد عندي ، وكنت أترحم منه أن يتركني ، ولم يكن عندي أحد .

الحاكم : أنت ما قلت لأولادك عندما كان يضربك الكولونيل دونكيات (٢) ؟

المتهم : كيف أقول هذا ؟.. وكيف يقبل العقل هذا الحاكم يقتـل ؟

الحاكم : لما جاء الضابط عبدالجبار أفندي ، وشهد ، وقال : انه راح الى عبّادي في محلك ، وما رآك هناك ، وأنت تقول : رحت الى أهلي .

المتهم : أنا ما رأيت عبدالجبار ، وقد ذهبت الى أهلي ، وأنا ما رأيته .

---

(١) هذه الساعة .

(٢) جمع دونكي ، وهو عصا قصيرة ، أحد رأسيها غليظ .

الحاكم (يأخذ المكاتيب بيده ويظهرها) أما كتبت أنت مكاتيب الى والد الشيخ مشحن ؟.

المتهم : هذا شيخ الدليم ، ونحن عداوة (*) . وبيننا دموم [1]، وأنا لم أكتب هذه المكاتيب .

الحاكم : هل تعرف أنت تقرأ وتكتب ؟.

المتهم : نعم .. أنا أعرف اقرأ وأكتب وأمضي [2] ، والكابتن مضّاني [3] ، في الرمادي ، على الافادة .

الحاكم : (يريه المكاتيب) هذا ما هو خطك ، وهذا ما هو امضاؤك ؟

المتهم : لا .. خير ، هذا ماهو خطي ولا هو امضائي .

الحاكم : انك أمضيت على افادتك في دائرة الشرطة في الرمادي (يريه ورقة الافادة) هذا هو امضاؤك ؟.

المتهم : نعم .. هذا امضائي .

الحاكم : أنت قلت في افادتك ان المكاتيب كتبها كاتبك زكي .

المتهم : هم يقولون ان زكي كاتبي هو كتب هذه المكاتيب ، وأنا لا أدري ، هذه ثماني سنوات مضت ، ومَنْ يدري ؟.

الحاكم : مَنْ كان معك لما دخلت في الغرفة التي أجلسك فيها لجمن ؟.. أما كان معك أولادك ودحام ؟.

المتهم : حين أجلسني الحاكم في الغرفة ما رأيت أحداً ، فقد

(*) هذا الجواب الذكي يدل على فطنة الشيخ ضاري ، فهو حين أشار الى عداوة مابينه وبين الشيخ حردان صديقه الوفي .. أراد أن يبعده عن الشبهة .

(١) دماء .

(٢) اوقّع .

(٣) أخذ توقيعي .

سحبني ، وضربني ، وتركني في الغرفة ، ولم يكن من أهلي أحد ، ولا أدري كيف جاءوا ، هم كانوا في الخان ، وأنا كنت في النقطة ، ولا أدري هل رأوني حين أجلسني في الغرفة ، أنا لا أدري اذا كانوا قد رأوني .

الحاكم : هل عندك أشخاص يشهدون بأن لجمن حبسك في الغرفة ؟.

المتهم : ليس لي أحد يشهد على عمل الكولونيل معي .

الحاكم : ماذا تقول عن الشهود الذين شهدوا عليك بالمحكمة؟.

المتهم : الشهود الذين شهدوا ، ما أعرف كيف تقبل المحكمة شهاداتهم .. واحد يقول : كنت حاملاً سيفاً ، والآخر يقول : خيّال فرس سوداء ، والآخر فرس بيضاء ، وأنا اليوم مريض ، ورايح أموت [1] بعد شهر ، وحظي ليس أقوى من حظ المحكمة ، واذا قيلت مثل هذه الشهادات ، فأنا ليس لي حظ أقوى من وجدان المحكمة .. أين قتلت ؟.. وأين شافوني [2] ؟.. هذا كله غير صحيح ، هذا كله كذب .

الحاكم : اذا لم تفعل شيئاً ، فلماذا هربت الى الخارج ، وسافرت الى ماردين ؟.

المتهم : خفت من سطوة الحكومة ، لأني بعد هذا الأمر صرت كأفراد الناس .. بينما كان كلامي مسموعاً بصاية [3] الحكومة ، وجرى الأمر ، وصرت كأفراد الناس ، فانهزمت .

---

(١) ولسوف أموت .
(٢) رأوني .
(٣) بفضل ودعم .

الحاكم : هل عندك شهود دفاع ؟•

المتهم : يمكن عنـدي شهود دفاع ، وأنا لا أتذكر أسماءهم ، وهم يشهدون من طرف حسن ، ويشهدون انهم رأوه ، وأنا ما أحد يساعدني ، لا في الموصل ، ولا في سنجار ، وليس لي رفيق ، ولا طبيب •• انهم يشهدون ان حسن كان في الفلوجـة ، وانهم رأوه ، وأنا ما قتلته أبداً •

الحاكم : أتعرف يعقوب البطي ؟

المتهم : أعرف واحداً يقال انه يعقوب البطي ، وأنا ما رأيته ، ولا جاء عندي ، ولا واجهته الى الآن •

الحاكم : ماذا يشهد لك هذا ؟

المتهم : لا أعرف ماذا يشهد •

الحاكم : وعلي الأحمد •• هل تعرفه ؟

المتهم : والله •• ما أدري •

الحاكم : وعبدالله الخلف •• هل تعرفه ؟

المتهم : ما أدري •• ما أدري !

الحاكم : من هو يعقوب البطي ؟

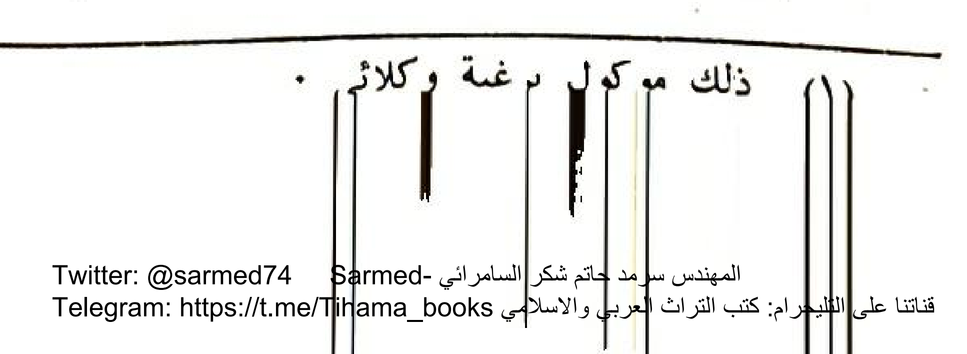
المتهم : ما أدري •• من الدليم ؟•• من غيرهم ؟•• ولكنه من تلك الديرة •

الحاكم : هل يعرف هؤلاء بقتل لجمن ؟

المتهم : الديرة كلها سمعت بخبر القتل ، وأنا لا أعرف هل يعرف هؤلاء كيف قتل أم لا •

الحاكم : هل تحب أن نجلبهم الى المحكمة لتسمع افاداتهم ؟

المتهم : (يلتفت الى المحامين) بكيف [1] وكلائي ، أنا عندي



(١) ذلك موكول لرغبة وكلائي •

وكلاء ، وقد ألقيت نفسي بين أيديهم ، فعلى كيفهم ، أنا مسلّم نفسي لهؤلاء المحامين ، اسألوهم ، هم الوكلاء .

المحامي ياسين قدوري : نطلب ، يا سيدي ، ارسال جلب اليهم ، ونحن نحضرهم الى هنا .

الحاكم : تكلم .. ماذا جرى بسليمان وخميس ولديك ؟

المتهم : هما موجودان في ماردين .

الحاكم : وصليبي ماذا جرى له ؟

المتهم : صليبي مات !

الحاكم : وصعب ؟

المتهم : صعب .. هو طيّب (١) في ماردين .

الحاكم : لما جئتم من النقطة قلت كنتم خمسة أو ستة ، فمن أين اجتمع ثلاثون أو خمسون مسلحين ؟.. لماذا اجتمعوا ؟

المتهم : أنا ما رأيت أحداً ، وهناك يوجد خان يجتمع فيه كل الناس والعَمَلة والخيالة والزلم (٢) وغير ذلك .

الحاكم : أين كانت جروح لجمن ، وكيف كانت جروحه ؟

المتهم : أنا ما قلّبت جروحه ، ولكن رأيت دماً في رأسه ، وكنت مشغولاً بحالي .

الحاكم : بأي آلة كان مجروحاً ؟ برصاصة أو سيف أو بخنجر ؟

المتهم : ما أدري .. يمكن كان مجروحاً برصاصة .

الحاكم : هل طلب منك الكولونيل أن تذهب معه الى بغداد ؟

المتهم : لا .. لم يطلب مني الذهاب الى بغداد .

---

(١) حيّ .

(٢) الرجال .

الحاكم : لأي شيء جئت بربعك مسلحين الى النقطة ؟

المتهم : كان بعضهم مسلحين ، وبعضهم غير مسلحين ، والعادة عند الشيوخ أنهم يستقبلون الحكام خيالة ومسلحين ، وكلما نستقبل الحكام يكون بيننا مَنْ يحمل السلاح للاستقبال .

الحاكم : هل عندك كلام آخر تقوله للمحكمة ؟.

المتهم : هذا هو كلامي للمحكمة ، وليس لي كلام آخر .

المحامي ياسين قدوري : نسترحم جلب شهود الدفاع الأربعة ، فان قسماً منهم في الرمادي ، وقسماً في الفلوجة ، ونحن نحضرهم .. اذا تأمرون بالتأجيل الى يوم السبت ، والشهود هم حسين الحداد ، ويعقوب البطي ، وعلي الأحمد ، وعبدالله الخلف ، ونحن نحضرهم وفي تكلف الشرطة .

الحاكم : فلتقرأ افادة المتهم .

فقرئت .

الحاكم (للمتهم) هذه هي افادتك ؟

المتهم : نعم .

الحاكم (يسأل المحامين) أين هم شهود الدفاع ؟

ياسين قدوري : نحن نعطي عنوان محلهم وأسماءهم بعد عشر دقائق ، وسنرسل سيارة ليحضروا .

الحاكم : مَنْ ذكر تلك الأسماء ؟.

ياسين قدوري : المتهم ذكرهم أمام حاكم الاحالة .

وأمر الحاكم باجراء المذاكرة ، وبعد ذلك تأجلت المحاكمة الى يوم السبت المقبل .

● ● ●

وفي الموعد المقرر عقدت جلسة المحاكمة ، وحضر المحامون •

وأتي بالشيخ ضاري في سيارة السجون الى المحكمة ، وحمل على الاكتاف من باب المحكمة الى غرفة المتهمين •• وذلك لأن قواه قد خارت واشتد به مرضه •

ونودي شاهد الدفاع واسمه علي الأحمد ، فأتى ، وحلف اليمين القانونية ، وأفاد بأنه بيّاع شرّاي [1] ، وانه يسكن بالكرمة وانه زبيدي • وقال : اني أعرف الشيخ ضاري ، وكذلك •• اني رأيت حسن وأعرفه ، وكان خادماً عند لجمن ، وقد رأيته يطوف مع لجمن بين العرب ، ثم رأيته بالفلوجة عصراً بالنزيزة ، وقد رأيته نهار مقتل لجمن ، وكان الناس يقولون ان لجمن قتل ، وأنا سمعت حسن يحكي للناس ويقول إن لجمن قتل ، وأنا قد رأيت حسن مرة اخرى قبل الواقعة ، وحسن عنده أسنان من ذهب ، وهو أبيض أحمر ، يلبس باش بزغ [1] ، ولكني لا أتذكر شكل لباسه وهدومه •• ولكني أعرف انها كانت هدوم عرب ، وأنا رأيته لابساً زبون ، ورأيته بالفلوجة بالنزيزة عند العصر •

المحامي داود السعدي : هل سمع الشاهد عن كيفية مقتل لجمن ؟

الشاهد : كان حسن يحكي ان لجمن قتل ، ولم أسمع عمن قتله •

داود السعدي : ما معنى العصر في كلام الشاهد ؟

الشاهد : العصر يعني : الشمس بعد ما غابت •

---

(١) بائع ومشتر •

(٢) لباس غير الافندية ، وهي كلمة ذات أصل تركي ، يشير الى الكساء الشعبي •

الحاكم (للشاهد) ولماذا ذهبت أنت للفلوجة ؟
الشاهد : ذهبت الى الفلوجة لاشتري لي هدوم وأنا لا أسكن الفلوجة .

ثم نودي الشاهد الآخر واسمه حسن الحداد ، فجاء ، وحلف اليمين القانونية ، وأفاد أنه يسكن أراضي عقرقوف وهو من عشيرة العزاوي ، وقال : اني كنت قبلاً أعرف حسن ، وكان يشتغل مع الحاكم لچمن ، وقد كان يلبس باش بوزق ، وقد رأيته ، لأول مرة ، يمشي بأطراف عقرقوف ، وقد جاء الى هناك مع الحاكم .

داود السعدي : هل صادف الشاهد حسناً في الفلوجة ؟

الشاهد : رأيته يوم ذهبت الى الفلوجة .. يوم الثورة ، وكنت في السابق قد رأيته في الفلوجة أيضاً ، ولم يكن معه أحد ، وقد سمعته يحكي ان الحاكم لچمن قتل . واما اوصافه فهو ولد أبيض أحمر ريّان ، في حلقه ضياء . ولا أدري كم عمره .. خمسة وعشرين .. ثلاثين سنة .

داود السعدي : هل كان حسن يسرد كيفية مقتل لچمن ؟.
الشاهد : كان يقول ان الزوبع قتلوه ، وأنا ما سمعت غير ذلك.

داود السعدي : ماذا يعني الشاهد بالضياء ؟

الشاهد : لما كان حسن يحكي كان يلمع ضياء من حلقه ، وقبل أن أراه في الفلوجة كنت قد رأيته في عقرقوف قبل ستة أشهر أو سبعة أشهر ، وأنا ذهبت الى الفلوجة لأتسوّق لأهلي ، وبعد ذلك رجعت الى عقرقوف ليلاً ، وكنت خائفاً بعدما سمعت ما سمعت ، وخرجت من الفلوجة ، ومشيت في الجزيرة ، ولم أمرّ على نقطة أبي منيصير ، ووصلت الى أهلي .

الحاكم (يخاطب المحامين) ان الشاهدين الآخرين غير حاضرين .

المحامون : قد صرفنا النظر عنهما .

● ● ●

وانتصب المدعي العام ، وأدلى بتقريره ، وقال :

سيق المتهم الحاضر الى هذه المحكمة بتهمة قتل الكولونيل لجمن ، وفي نتيجة المحاكمات أفاد كل من الشهود ان الكولونيل لجمن كان جالساً مع المتهم في المجاز ، وبعد برهة أطلقت طلقات نارية أصابت الكولونيل ، فوقع قتيلاً . وقد أفاد قسم من الشهود ان الجروح التي كانت في جثة الكولونيل كانت حاصلة من غير الطلقات النارية ، وقال البعض منهم ان جرحاً بسيف كان في كتف المقتول ، واتفق جميع الشهود على عدم وجود بندقية عند المتهم ، وانهم لم يذكروا سبباً لاطلاق العيارات النارية . وقد دافع المتهم بأنه كان مسجوناً عندما اطلقت الطلقات النارية ، وعند خروجه من غرفة سجنه رأى أولاد أخيه والرجال الذين كانوا معهم واقفين حول القتيل . هذه خلاصة الشهادات والافادات . واما الكتابان اللذان شهد بهما أحد الشهود وأفاد أنهما قد وصلا الى والده ، وان والده وصلها الى الحاكم ، وقد أظهر الشاهد أنه لا يعرف من أوصلهما الى والده ، وان المتهم أظهر انه يعرف القراءة والكتابة ، وان هذين الكتابين ليسا له ، وكذلك التوقيع عليهما . ولا يوجد في التقرير الطبي أثر لذكر الجروح التي جاء ذكرها في المحكمة . ولما كان المتهم مسوقاً الى المحكمة بتهمة قتل الكولونيل لجمن فقط ، فان مقام الادعاء العام لا يرى مجالاً للبحث عن مقتل حسن وسائق

السيارة ، وانما الحكم على المتهم ، وهو عائد الى وجدان المحكمة المحترمة •

• • •

وكان المحامون قد هيأوا دفاعهم ، وكتبوه ، وكان نسخة ملقاة بين أيديهم • فانتصب أحدهم وهو أمجد أفندي الزهاوي ، وتلا الدفاع شفهياً ، وكان يتدفق حجة وبياناً وبراهين دامغة ، وقد تصرف في دفاعه ، ولكنه احتفظ بالنقاط الأساسية • وقدمت صورة الدفاع الى كاتب المحكمة ، فتلاه •• وهذا نصه :

سعادة رئيس المحكمة الكبرى في لواء بغداد المحترم •

المعروض :

أحالت محكمة الاحالة في الرمادي موكلنا الشيخ ضاري المحمود وفق المواد ٢١٣ و ٢١٤ بدلالة المواد ٥٤ و ٥٥ من قانون العقوبات البغدادي لذهابها انه اشترك في قتل الكولونيل لچمن وخادمه حسن ، وسائق سيارته الهندي ، فنحن دفاعاً عنه نقول : قبل الدخول في أساس الدعوى لابد لنا من أن نناقش نقطتين مهمتين تختصان بصلاحية المحاكم العراقية برؤية هذه القضية الموضوعة البحث ، الاولى هل من مسوغ لمحاكمة الشيخ ضاري من أجل الوقائع المذكورة في التهمة من قبل المحاكم العراقية • والثانية هل للمحاكم العراقية أن تحاكم الشيخ ضاري عن حوادث غير حادثة الكولونيل لچمن •

١ ـ هل من مسوغ لمحاكمة الشيخ ضاري من أجل الوقائع المذكورة من قبل المحاكم العراقية :

لما كانت الواقعة في عهد حكومة الاحتلال لم يكن مصير المملكة العراقية متعيناً • بل اذا نظرنا الى حالتها يومئذ حسب القوانين الدولية

نجدها اما جزء من مملكة عثمانية أو مملكة تحت سيطرة المحتلين • وان الجرائم التي يرتكبها أفراد تلك المملكة يومئذ انما تكون ضد تلك الحاكمية المسيطرة على البلاد حيث ان نظرية العقوبة انما هي لقاء الاخلال بالأمن واحداث الارتباك • ولما كان الأمن يومئذ مضموناً من الحكومة المحتلة ، ولما كانت تلك الحكومة قد زالت بتأليف حكومة جديدة باسم الحكومة العراقية ، فأصبحت الجريمة المنوه عنها من دون حكومة شرعية مختصة بتعقيبها والعقاب عنها ، وان الحكومة العراقية لا حق لها في العقاب بجريمة لم تكن واقعة ضدها ، فحق الحاكمية والعقوبة أمران متصلان ببعضهما ، ولا يمكن انفكاك أحدهما من الآخر •• ولا يرد على الخاطر ان الحكومة العراقية قد ورثت الحقوق التي ولدتها الحكومة الاحتلالية ، حيث ان الحقوق الموروثة فيما له منفعة تنتفع فيه الحكومة اللاحقة ، ولا يتصور ذلك في اجراء العقوبات • لا فائدة في عقاب من قبل سلطة على من لا يتجاوز عليها •

٢ ـ هل للمحاكم أن تحاكم الشيخ ضاري عن حوادث غير حادثة الكولونيل :

ان قصد محاكمة الشيخ ضاري عن قضية الكولونيل لجمن فقط ، فواضح من الاسباب المبني عليها البيان الصادر في ٣٠ مايس ١٩٢١ والقاضي بالعفو العام عن المجرمين السياسيين ومن له يد في ثورة ١٩٢٠ وذلك من فقرة (أ) اذ يفهم منها ان الشيخ ضاري ورفقاه لم يستحقوا العفو لاتهامهم بقتل الكولونيل لجمن أو بالتحريض عليه ، كما انه ورد في البيان نفسه ذكر استثناء آخرين لاتهامهم بقتل ضباط من رجال الاحتلال ، فكان الواجب حصر المحاكمة عن قضية لجمن فقط ، واذا لاحظنا نص التهمة نجدها تتضمن ثلاث نقاط • الاولى

تتعلق باتهام موكلنا بالاشتراك في مقتل الكولونيل لجمن • والثانية تبحث بقتل حسن • والثالثة تشير الى مقتل الهندي •

فاما النقطة الاولى ، فنحن نعالجها من وجهتين : الاولى هل يجوز تجريم أحد دون دليل قطعي يعرف به كيفية ارتكاب الجريمة المسندة اليه ، والثانية اذا حصلت احتمالات ، هل يجب الأخذ بالاحتمال الذي هو لصالح المتهم فيما يختص بالبراءة •

١ – هل يجوز تجريم أحد من دون دليل قطعي يعرف به كيفية ارتكاب الجريمة المسندة اليه :

ان الأساسات الحقوقية مطبقة على ان الانسان بريء الذمة وغير مجرم الا أن يثبت بجريمة بطريقة قطعية • وكل ما يقوله المتهم من الامور المحتملة تعتبر كحقيقة له حتى يثبت ضدها بطريقة قطعية ، وان المتهم قد بيّن أمام الحاكم انه كان بحالة ملائمة مع الكولونيل لجمن قبل الحادثة ، فقد دعاه ، فلبى دعوته ، ولما أمره بارسال ابنه مع أفراد العشيرة لم يتأخر عن انفاذ الأمر • ولما عاد به الى الثورات الحاصلة في ذلك الوقت أخذ يعتذر اليه بأن ليس له مدخل فيها ، وليس باستطاعته منها ، والواقع أيضاً يؤيد ذلك •• اذ الزمن زمن ثورة عامة ، والرؤساء سلطتهم محدودة في أيام السلم يستمدونها من قوة الحكومة • والناظر الى افادة الشهود يجد من اعتذار الشيخ ضاري عندما أراد الكولونيل أن يذهب الى محله معه أن الشيخ قد خشى من حوادث الثورات ، وخاف أن يصاب بأذى قرب محله في حين لا يمكنه الدفاع عنه ولا سلطة له لزوال سلطة الحكومة من تلك الانحاء •• ولكن الكولونيل لما كان حائراً من حوادث السلب لم يقبل عذر الشيخ ضاري وأنحى عليه باللائمة حتى سجنه في الحجرة في المخفر قبل وقوع القتل ، وعلى أثر سجنه في الحجرة قد وقع القتل • واما سبب

القتل فلا يخلو من أحد الاحتمالين أما ان الذين أوقعوا القتل كانوا مدفوعين بعوامل الثورة التي لم يكن موكلنا متأثراً بهـا حتى تلك اللحظة بدليل إذعانه للأوامر التي كانت تصدر اليه من دون تردد ، واما لأنه ثار هياجهم حينما رأوا حالة إهانة كبير منهم ومحترم عندهم فأوقعوا جريمة لا دخل لارادة المتهم فيها .. على أن بعض شـهود الاثبات قد ذكر انه سمع كلمة (لا) غير انه لا يدري هل صدرت من لجمن أو من المتهم ضاري . والظاهر صدور هذه الكلمة الصادرة عن رشد من ضاري نفسه .. انها النظرية الجزائية القاضية بالاحتمال الذي هو بصالح المتهم .

واما قضية جرح السيف فلم يذكر أحد شهود الاثبات من انه شاهد المتهم فعل ذلك حتى ان الشاهد الذي يزعم انه شاهد حادثة القتل ، وهو خلف ، ولم يذكر عن المتهم شيئاً سوى انه كان يمشي بجانب الكولونيل الى أن حدثت الطلقات ، ووقع الكولونيل صريعاً ، ولم يشاهد لا هو ولا غيره من الشهود من المتهم الا الحالة السلبية ، وان الجرح المذكور هذا انه غير ثابت بتقرير طبي ، فلا يجب أن يعتقد بوجوده أم لا ، لأنه على تقدير وجوده فلا يمكن معرفته .. هل هو حادث سيف أو خنجر أو سكين ، لأن الآلات القاطعـة عديدة وكثيرة الاجناس عدا ان حمل السيف لم يكن منحصراً بموكلنـا المتهم . واما شهادة خلف بأن المتهم لما ذهب بأمر لجمن ليحضر فرسه مع انها لا تتفق مع الحالة التي حكاها سائر الشهود فهي في موقف موكلنا حيث انها لم تذكر عنه سوى الحالات السلبية . والاحتمالات الموهومة لا يجوز تجريم أحد بها أو بالجملة فان المتهم لم تذكر عنه شهود الاثبات سوى الحالات السلبية ولم يقم على تصوير الواقعة دليل يخالف بيانات المتهم عند حاكم الاحالة . ومن البديهي انه لا يؤاخذ

بأفعال غيره ولا سيما في تلك الايام التي اضطرب فيها حبل الأمن وعمت الفوضى تلك الأرجاء .

٢ ـ اذا حصلت احتمالات .. هل يجب الأخذ بالاحتمال الذي هو لصالح المتهم فيما يختص بالبراءة :

مع ان الشيخ ضاري لم يكن ذا مدخل في قضية الكولونيل كما هو ثابت للعيان من الأدلة المسرودة والمفصلة في هذا الدفاع ، فان الاتهام نفسه لا ينطبق على الجريمة المزعومة ، لأن القتل قد حصل في إبان استعمال الكولونيل الشدة في وظيفته ، وان شدة الكولونيل التي كانت نتيجة هياج الثوار ، فمن البديهي ان تلك الحالة التي ظهر بها الكولونيل لا يمكن أن تكون وظيفته قد أمرت بها الحكومة .. حيث ان الاهانة والتحقير هما ليسا من الوظائف التي يؤديها الموظف باسم الحكومة ، فظهر مما تقدم انه لايوجد تعمد في الجريمة ، ولم تحدث الجريمة ابان تأدية وظيفته أو بسبب وظيفته .

واما النقطة الثانية المتعلقة بقتل حسن فيجب النظر اليها من وجوه ثلاثة :

(آ) لا يصح محاكمة موكلنا عن قضية حسن الخادم ، لأنه كما أسلفنا في البند الثاني انها داخلة في العفو العام ، ولم تدخل في الاستثناء. حيث ان الاستثناء مقيد بالأفعال التي ارتكبت ضد ضباط جيش الاحتلال .

(ب) واما وقوع قتله فهي لا زالت غامضة ومفتقرة الى اثبات قانوني . ان الجريمة نفسها لم تثبت حتى الآن حيث انه لا توجد تقارير طبية ، ولم يعثر على جثته حتى الآن ، ولم يتقدم أي طلب من أقاربه أو محبيه يدل على قتله وموته ، ولعله الآن حي يرزق . واذا

كانت نفس الجريمة لم تثبت بصورة تركن اليها النفس ، فلا يجوز أن تنصرف الاذهان الى وجود مجرم لأن اثبات الجريمة متقدم على اثبات الاجرام ومعاقبة المجرم • وهذا ما حصل في هذه القضية •

واما اختلاف الشهود وتناقضاتهم فظاهر حتى أصبحت لا يمكن تأليفها مع بعض • مع ان الشهود حكوا أمراً محسوساً لا يجوز الاختلاف فيه أولاً ان فريقاً من الشهود وهم خمسة لم يشهدوا أمام حاكم الاحالة ، ولا أمام هذه المحكمة بشأن يمس موكلنا ، وانما بالضد من ذلك فانها بجانبه ولصالحه ، فاذا لم تر المحكمة المحترمة هذا الرأي ، فانها ـ على الاقل ـ لا يجوز لها أن تعتمد على افاداتهم •• لتناقضها امام حاكم الاحالة وضابط التحقيق والحكم عليهم بتزوير الافادات المذكورة من جانب محكمة الرمادي • ثانياً ان الشيخ مشحن الحردان وسائق السيارة فيزان وصانعه صليبي والضابط عبدالجبار أفندي لم يمسوا موكلنا بافاداتهم بشيء ولم يبحثوا لا عن كيفية مقتل لجمن ولا الخادم ولا سائق السيارة • ثالثاً اما عن افادات الشهود حمادي الخلف ومحمد بن علي وعبدالأمير بن أحمد فانها متناقضة ومتباينة جداً ، ولا يمكن الاطمئنان بها والركون اليها ، لأن حمادي الخلف ذكر ان فارساً واحداً جاء وقتل حسن ، وذلك الفارس هو ضاري ، ولم يكن أحد معه ، وانه جاء حاملاً بندقية ، وان حسن كان قدامه مسافة قدّرها أمام حاكم الاحالة بخمس دقائق ، وامام هذه المحكمة بثلاث خطوات • وان الشاهدين الآخرين ، وهما محمد بن علي وعبدالأمير بن أحمد كانا يمشيان معه جنباً الى جنب • ان الشاهدين المذكورين الذي يزعم انه كان بجانبهما قد كذباه في جميع افادته حيث ذكر ان الذي قتل حسن هو واحد من فارسين لحقا بهما ، وكانا على بعد أربعين خطوة منهما ، وكان حسن وراءهما بقدر عشرين

خطوة ، ويظهر من ذلك أنهما شهدا ضد ما شهد الشاهد السابق في جميع هذه الامور المحسوسة التي لا تقبـل الاشتباه ، ولا يمكن الاختلاف فيها الا على صورة تعمد الكذب • على ان هذين الشاهدين عدا انهما قد اختلفا اختلافاً بيناً لا يصح الركون معه الى افادتهما لم يجزما بكون القاتل الفارس الذي زعما انه ضاري فان أحدهما قال تارة طلقة من أحد الفارسين ولا يعلم ممن ثارت ، والآخر قال بعد ان سمعت الطلقة النارية الضارب الشيخ ضاري ، وقد فهمت ذلك من الناس • فان هذه الافادة لا تعني انه رأى الطلقة النارية بعينه من يد الفارس الذي يزعم انه ضاري ، لأن الطلقة آنية لا يمكن أن تبقى زمانين وبعد انتهائها لا يمكن تشخيصها ، ومع ذلك فان افادتهما غير معقولة حيث ان بعد المسافة الذي ذكراه لا يسمح لهمـا بتشخيص الضارب في مثل تلك الحالة غير الهادئة والسائدة فيها الأوهام •• حتى ان فريقاً من الشهود قد صرح للمحكمة بأنهم ما كانوا يعقلون حتى انهم من شدة استيلاء الوهم عليهم لدرجة يرون فيها الاحجار الصماء فرساناً وخيولاً ، فكيف يصح الاعتماد على مثل هذه الافادات في مثل تلك الساعات الحرجة التي تستولي على العقول فيها الأوهام وتحكم الأراجيف في تجريم أحد لا سيما في تجريم لا تلافي له ، وفضلاً عن ذلك فان في افادة هذين الشاهدين عدا ما ذكره مما يوجد في النفس قناعة تامة انهما لم يشهدا بالصدق •

ان الشاهد محمـد علي يذكر امام حاكم الاحالة ومحكمـة الكبرى انه لا يدري ، ولا يتذكر هل ان الفارسين مقنعان ام مسفران ولكنه استطاع تعريفهما ، وفوق ذلك استطاع أن يشخص أيدي البنادق ونوعها من بعد أربعين خطوة في تلك اللحظة التي تطير من

هولها الاحلام ، وكذلك لم يستطع تشخيص فرس ضاري ولونها ، مع انه استطاع أن يشخص عقاله المفتول ويشماغه ، ويفرق العقال ويميزه عن غيره ، وقال انه أحمر مقصب أبو طيّات . وكذلك الشاهد الآخر وهو عبدالأمير يقول امام حاكم الاحالة ان الفارسين مقنعان وهنا يصرح للمحكمة انه لا يتذكر هل انهما مقنعان أم لا ، ويقول ان أحد الفارسين قد نزل من فرسه ورمى حسن الخادم من بين القافلة وفي تلك اللحظة ثارت الطلقة . ويصرح رفيقهما الآنف الذكر انه وقعت الحادثة وثارت الطلقة دون أن ينزل أحدهما . ان أمثال هذه الاختلافات التي تدل على نفسية هذين الشاهدين كثيرة اذا أردنا التعميق فيها . وبما أن الجريمة التي يحاكم من أجلها موكلنا لا يمكن أن تحقق إلا بأدلة خالية من الالتباس والغموض وببراهين قطعية جازمة . ولم تتوفر هكذا أدلة وبراهين فهو بريء منها .

واما النقطة الثالثة وهي المتعلقة بمقتل السائق الهندي فلم تجد محلاً الى البحث فيها حيث انه لم يتقدم الادعاء العام بأي دليل أو قرينة تشير الى علاقة موكلنا بقضية الهندي .

والصورة العامة لسير القضية هي اننا لم نجد في القضية من الأسباب التي تستحق مناقشة من حيث قابليتها للاثبات ، ومع ذلك اظهاراً لحقيقة ما مر في القضية من الظروف نعرض ان النقاط التي قد يخطر على البال لزوم النظر اليها هي :

آ ـ شهادات شهود الاثبات .

ب ـ الكتابان المبرزان أثناء المحاكمة .

ج ـ الافادة المعزوة الى موكلنا لما كان في سنجار .

الشهادات : فاما مقتل الهندي لم يشهد عليه أحد الشهود وأما

عن لجمن فلم يحضر أحد من شهود الاثبات واقعة القتل الا واحد منهم وهو الشاهد الأول خلف ، فقد صور هذا الشاهد ظروف الحادثة ووصف موكلنا بحالة سلبية ، ولم يصف أحد من الشهود أي صفة تدل على اشتراك موكلنا بقيامه في حالات الاشتراك المنصوص عليها في المادة ٥٤ من قانون العقوبات البغدادي أي انهم لم ينطقوا بأي شيء يدل على ان موكلنا حرض على القتل أو اتفق مع غيره على تنفيذ الجريمة أو أعطى للفاعلين سلاحاً أو أي شيء آخر مما استعمل في الحادثة أو ساعدهم عليها كما ان الشهود أنفسهم قد تباينوا في كيفية مقتل حسن ، وقد سبق لنا أن فندنا شهاداتهم في البنود السابقة تفنيداً يحصل الاطمئنان أكيداً في عدم انطباقها على الحقيقة أو الالتفات اليها •

الكتابان – مع ان موكلنا قد أنكر صدور الكتابين المبرزين في المحاكمة والمتعلقين بهذه الدعوى انكاراً باتاً لم يقم أي دليل ضد انكاره هذا ، وبديهي ان فقدان الدلائل ضد موكلنا مما يسقط أهمية هذين الكتابين وماله نتيجة فلم يصبح من جملة الدلائل التي يقبلها القانون والوجدان •

الافادة المعزوة الى موكلنا في سنجار : ان موكلنا قد نفى صدور هذه الافادة منه ، وانه أوضح زيادة على النفي انه لا يمكن صدور هذه الافادة منه الا اذا كان حين صدورها منه مختل الشعور • اننا واثقون من ان نباهة المحكمة المحترمة ودقتها ستحيطان بالظروف التي يدعى بصدور هذه الافادة خلالها ، وانها ستصل الى الحقيقة القاضية بعدم الأخذ بها والاعتماد عليها ، ومع ذلك اظهاراً لصحة انكار موكلنا •• نعرض :

اولاً – ان انكار موكلنا صدور هذه الافادة منه أمام حاكم

الاحالة وامام محكمتكم الموقرة يمنع قبول صدورها منه قبلاً نظراً الى فقدان سبب يوجب عليه تغير افادته اذا كانت الافادة المضبوطة في سنجار كانت برضاه أو بصورة طبيعية لا تكتنفها الشكوك •

ثانياً – ان لقول موكلنا بعد امكان صدور هذه الافادة منه الا في حالة اختلال شعوره نصيباً كاملاً من الحقيقة حيث انه من الواجب ان نلاحظ ان كيفية القبض على موكلنا كانت مخيفة وشاذة من شأنها أن تؤثر في نفسيته ، وأن تربك عقليته • لقد قبض عليه فجأة ولم يشعر الا وانه أصبح في أيدي مأموري الدولة المعقبة له ، بينما كان هو يقصد مكاناً آخر لاجل معالجة المرض الذي ألم به • وفي هذه الحالة المزعجة جيء به الى سنجار مشدوداً وثاقه ، وظل زمناً غير يسير تحت تأثير الامطار في ذلك الطقس البارد في السيارة التي قبض فيها ، وكذلك تحت تأثير اهانة سائقين خاناه مع انه مريض • وفي تلك الآونة وعلى تلك الحالة ضبطت افادته على ما يقال فكان من المنتظر أن يكون في حالة عصبية لا يمكن معها تقدير أقواله ونتائجها • ولقد بان من الافادة المسندة اليه ارتباك عقلي مهم حتى آل الأمر الى أن تكون الافادة المسندة اليه مكذبة لكل ما وصفه شهود الاثبات من المسائل المصادق عليها ، وأن تكون غير ملائمة للحقائق والظواهر ، فلقد اسند اليه انه قال انه جاء وسلّم برضاه مع ان الشواهد قائمة على انه كان موثوقاً بشدة ومراقباً من قبل القابضين عليه مراقبة دقيقة الى حين تسليمه الى مأموري الدولة ومع ان العقل التسليم بصحة ادعائه انه جاء طائعاً مختاراً وهو الذي تتأثره الدولة وتتعقبه من أجل جناية كما انه اسند اليه بأنه ذكر في افادته ان لجمن كتفه وأراد القاءه في السيارة مع ان السيارة كانت بعيدة عن باب نقطة أبي منيصير مسافة

خطوات كثيرة • ولم يحك أحد من الشهود هذه الحالة ولم يعقل أن تكون هذه الحركة حقيقية •

ثالثاً ـ لقد نخلص مما ذكر أعلاه انه لا يمكننا أن نقول في هذه الافادة إلا باحدى هذه الاحتمالات الثلاثة :

اما أن يكون موكلنا في حالة عصبية أضاع فيها رشده ، واما أن تكون نتيجة تضيق واكراه ، واما أن تكون الافادة مختلقة • وفي كل احتمال من هذه الاحتمالات ما يجعل الافادة غير صحيحة ومردودة •• فضلاً عن ان الواقع مما يؤيد ان المتهم كان في سنجار لا يعي ، وفي حالة لا يقدر فيها نتيجة أقواله • ولقد لاحظ مشرع قانون أصول المحاكمات الجزائية البغدادي هذه الجهات ولم يعر لاعترافات المتهمين اهتماماً •• ولا سيما في مثل هذه الجريمة التي يحاكم من أجلها موكلنا كما هو مشاهد في المادة ١٦٦ من القانون نفسه •

المطلوب ـ وصفوة القول انه لم يقم ضد موكلنا أي دليل مقنع يعول عليه في ادانته كما ان المبادىء لاقامة الدليل تنطق بكل وضوح انه متى تطرق الشك الى الأدلة المقدمة من الادعاء كان ذلك في صالح المتهم وادعاء براءته ، وانه اذا لم تقم أدلة كافية على الاجرام فلا عقاب حيث يصح الغلط بين حالتين : الجريمة التي لم تثبت اثباتاً كافياً على المتهم ، والجريمة المستحق المتهم فيها تخفيف عقابه قضائياً •• وعليه فلا ينبغي في حالة عدم اقامة الدليل الكافي عقاب المتهم بعقوبة حقيقية انما ذلك خطأ مبين ، وواجبة براءته • وان هذه المبادىء نفسها تقول ان الوقائع التي كان لها التأثير في وجود الجريمة وظروفها وارتباطها بالفاعل وحصول الفعل •• هذه يجب أن تكون حقائق قاطعة استناداً الى القاعدة الجزائية القائلة (انما تستند الأدلة على الوقائع المحققة) •

وبما أن الأدلة التي تقدم بها الادعاء محفوفة بالشكوك وغير مستندة الى وقائع محققة ، ولم تتصف بالصفة القطعية الواجبة في مثل هذه القضية • وبمـا أن موكلنا بريء مما اسند اليـه نطلب براءته واطلاق سراحه •

• • •

وبعد الانتهاء من قراءة الدفاع قام المحامي أمجـد الزهاوي ثانية ، وبدأ يدافع عن الكلمة الواردة في افادة المتهم في سنجار • وبعد أن شك في صحة هذه الافادة ، وبيّن حالة المتهم أثناء الافادة وشدة اضطرابه •• قال : ان كلمة (دگوه) (١) تفسر تفاسير كثيرة ، وانا لا أريد أن أقول عما اذا كانت هذه الكلمة قد وردت في افادة موكلي أم لا •• ولو فرضنا أنها وردت فلها تفسير ، وهو ان موكلي حين كان يضربه الكولونيـــل لچمن ويرفسه ويسحبه الى الغرفـة ويشتمه ويسبّه ، فانه من المحتمل انه قال : دگوه !•• وهو يريد من أولاده أو رجاله أن يسحبوه عنه • ومن الأمور البديهية في قانون الجزاء ان الانسان مسؤول عن عمله فقط ، وليس بمسؤول عن نتائج عمله ، واني لاضرب لكم مثلاً : حدث في العهد العثماني ان الجيش كان مزمعاً على الرحيل ، فتقدم الناس لتوديع بعض أفراد الجيش ، فحدث ازدحام شـديد ، فأمر الضابط العسكري أحـد الجنود : دگهم • فكان من أمر الجندي أن أطلق عياراً نارياً قتل به شخصاً وجرح شخصاً آخر • وعندما جيء بالضابط الى المحكمة باعتبار انه مشترك بالقتل وبيّن انه عني بقوله دگهم أن يفرقهم ويبعدهم •• برأت المحكمة ساحته •

---

(١) دونكم الرجل •

وهكذا واصل أمجد الزهاوي دفاعه بحيث لم يترك صغيرة ولا كبيرة دون أن يذكرها في دفاعه • وبعد ذلك أمر الحاكم باجراء المذاكرة • فخرج المتهم والمحامون والمستمعون من قاعة المحكمة • ودامت المذاكرة مدة ثلاث ساعات • وبعد ذلك استؤنف انعقادها العمومي ، فجاء المتهم والمحامون والمستمعون الى القاعة ، فقرأ كاتب المحكمة تقرير المحكمة الذي ورد فيه ما جاء في الدفاع واتهام المتهم وادانته •

● ● ●

وبعد ذلك قرئ الحكم •• وهذا نصه :

حكمت المحكمة الكبرى للواء بغداد على المجرم الشيخ ضاري بن ظاهر المحمود بالاعدام شنقاً حتى الموت وفق الفقرة السادسة من المادة ٢١٤ بدلالة المادة ٥٤ ـ ٥٥ من قانون العقوبات البغدادي ، وقررت بالاكثرية تبديل عقوبة الاعدام المفروضة على المحكوم المذكور بالاشغال الشاقة المؤبدة اعتباراً من تاريخ توقيعه المصادف ٣ تشرين الثاني ١٩٢٧ وفق المادة ١١ من القانون المذكور ، وذلك للأسباب الآتية :

أولاً ـ المحكوم هو طاعن السن •

ثانياً ـ تغيبه عن محله ثماني سنوات وبقاؤه مضطرباً خلال هذه المدة واعتلال صحته وابتلاؤه بمرض شديد لحقه •

وقررت بالاتفاق الحكم على المجرم الشيخ ضاري المذكور بالأشغال الشاقة المؤبدة وفق المادة ٢١٢ بدلالة المادة ٥٤ ـ ٥٥ من القانون المذكور على أن تنفذ العقوبتان بالتداخل وافهم علناً بتاريخ ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٨ •

رئيس المحكمة الكبرى

للواء بغداد

وغادر الناس قاعة المحكمة بصمت رهيب ، وكأن على رؤوسهم الطير !!

وعقد المحامون نواياهم على تمييز الدعوى . ولاحظ الصحفيون ان حالة الشيخ ضاري - عندما تلي عليه الحكم - حافلة بالشرود والذهـــول .. لأنه كان صريع مرض اشتـــد عليــــه ، وكان يتكيء على حاجز قفص المتهمين خائر القوى تحت وطأة شيخوخة عليـلة .

في ذمة الخلود

ومات الرجل العظيم فجر اليوم الأول من شهر شباط سنة ١٩٢٨ .

ولخّص الشيخ علي البازي حكايته بقوله من قصيدة طويلة استوفى فيها جوانب الثورة العراقية :

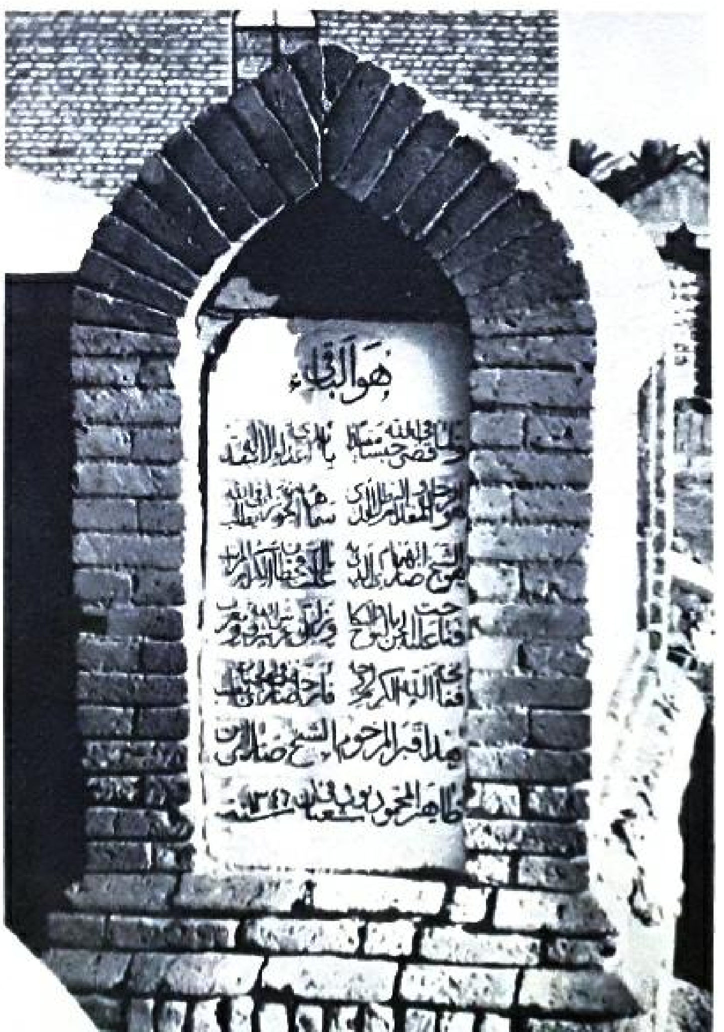
أولَخبْرَكْ ماجِرَهْ بْلَجْمَنْ أوصُارْ
مِنْ نُوَهْ يِستَعْبِدْ بْعَزْمَهْ الأحرارْ
عَرَبْ شيمتْهُمْ أبَتْ تِحمِلْ العارْ
امْعَلَّمَهْ تكودِ الخصيم گيادَهْ (١)

وصدرت جريدة الاستقلال البغدادية صباح يوم الخميس ٢ شباط ١٩٢٨ مجللة بالسواد ، وهي تعلن :

(١) معنى الشعر : ولأخبرنّك بما جرى وحدث للكولونيل لجمن حين عزم على إذلال الأحرار بطغيانه .. بين عرب أبت شيمتهم أن يقيموا على عار .. وقد علمّها الزمن كيف تروّض الخصم وتقوده كالدابة !.



الشيخ
ضاري



قبر
الشيخ
ضاري



الكولونيل
لجمن



قبر
الكولونيل
لجمن

مات ضاري المحمود

بغداد في مأتم

اخريات أيام الشيخ ضاري

لتقول بعد ذلك :

الشيخ ضاري نار على علم ، يحبه العراقيون حباً جماً ، ويقدسه المخلصون منهم تقديساً .. تخفق لذكراه القلوب ، وتهفو لاسمه الأرواح .. لأنه لم يكن كسائر الناس، وانما الكل يعتقد فيه الاخلاص والشهامة والاباء العربي الصميم ، ويرى في شخصيته المحبوبة نور الآمال الوطنية والأماني القومية ، ويضيء النفوس الحرة البريئة .. ولكن المقادير التي اعتادت أن تفت في أعضاد الرجال الأحرار شاءت أن يؤتى بهذا الشيخ الجليل مثقلاً بالقيود والأصفاد ، متهماً بجرائم سياسية وقعت إبان الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ ، وهي المتعلقة بمقتل الكولونيل لجمن ، وخادمه حسن ، وسائقه الهندي .

كان الشيخ الفقيد مريضاً مرضاً مزمناً ، وكانت محاكمته تجري برغم إلحاح محاميه على ارساله للمستشفى والاعتناء بصحته .. غير ان السقم قد اضنى جسده في آخر أيامه ، وكان منظره ـ في المرافعة الاخيرة التي نطقت فيها المحكمة الكبرى حكمها ـ مؤلماً للغاية ، حيث انه كان في درجة لا يستطيع فيها الجلوس في قفص الاتهام .. ولا أن يرفع رأسه . ولكن المحكمة كانت قد أرسلت على الطبيب الانكليزي دنلوب وسمح لها بأن تستمر في محاكمتها له . وليس لنا حق الاعتراض على ملاحظة الطبيب المومى اليه لأنها فنية ، والمسائل الفنية لا يجوز الاعتراض عليها .. ولكننا نقول للطبيب الانكليزي الماهر ان الشيخ ضاري قد مات بعد يوم من معاينته له ، وسماحه للمحكمة

في الاستمرار في محاكمة الشيخ العليل على مرأى ومسمع من جمع غفير من العراقيين •

لقد كان من المنتظر أن يدوي صوت النذير بمماته في أرجاء العراق •• لما كان عليه الفقيد من المرض المزمن الشديد الوطأة ، ولما كان عليه من ضعف وشيخوخة ، ولما كانت تحوطه من الظروف •

ولم يمض على تبليغه بالحكم يوم ونهار إلا وبدأت امارات الموت ترتسم على محياه • وقد سمعنا أن دائرة السجون قد أبلغت زوجته التي في بغداد أن تحضر احتضاره • ولم تنتصف ليلة أمس إلا والشيخ الجليل قد لفظ نفسه الأخير في مستشفى السجون وحيداً ، بعيداً عن أقربائه ومحبيه •

ولما انبثق فجر الاربعاء سرى نعيه في نفوس البغداديين سريان الكهرباء في الاسلاك ، فأخذت الجميع رجفة ، ولكنها رجفة الفزع على فقدان علم من أعلام الثورة العراقية ، وزعيم صادق من زعمائها •

ان صباح أمس وإن كان جميلاً زاهياً بأشعة الشمس الذهبية غير ان الزفرات التي تصاعدت من قلوب العراقيين الكئيبة والعبرات التي جادت بها العيون بسخاء •• قد أوجدت كلفاً بيناً في جمال ذلك الصباح •

والذي كان راغباً في استقصاء مبلغ الحزن العميق الذي عمّ النفوس كان يجد من تردد أبناء الشعب بين السجن الذي مات فيه الفقيد والمستشفى الملكي الذي ارسلت اليه جثته للمعاينة الأخيرة ، ومن تكاثر ازدحام الناس حول أبواب السجن والمستشفى •• خير دليل على مكانة الشيخ ضاري في نفوس أبناء جلدته البهاليل •

لقد سبق محامو الفقيد الناس الى السجن ، وطلبوا تسليم جثته

الى زوجته التي تعهدت بالقيام بواجباته ، فأجيبوا بأن الجثة ستصل الى زوجته بعد أن ترسل الى المستشفى لاعطاء التقرير النهائي بشأنها • وفي تلك الآونة ازدحم الناس على باب السجن وأرادوا حمل الجثة على الاكتاف غير انهم قد وُعدوا بنوال مرادهم بعد الفحص الطبي على الجثة •

وقد احضرت سيارة خاصة على الفور وحملت الجثة الى المستشفى فتبعها الناس • وقد ظلت الجثة مطروحة في محل المعاينة حتى الساعة السادسة عربية • وبعد مراجعات عدة ومحاورات بين أطباء المستشفى ومحامي المتهم تبين ان مخابرة دائرة بين المستشفى والمراجع المختصة بضبط الأمن العام حول تسليم الجثة أو عدم تسليمها •

وفي تلك الآونة حضرت سيارة تقل حضرة مدير شرطة بغداد حسام الدين بك ، وقد اخبر انه كان مكلفاً بعدم تسليم الجثة الى زوجة الفقيد في المستشفى وانما تنقل بسيارة خاصة الى مرقد الشيخ معروف ، وهو المرقد الذي حفر فيه قبر الفقيد حفظاً للنظام العام • ودرءاً لما عسى أن ينجم من تسليمه الى زوجته في تلك الحالة من الحالات التي يتهدد منها الأمن العام •

عند ذلك التمس محامو الفقيد من حضرة المدير أن يؤخر حمل الجثة في السيارة ريثما يراجعون سعادة متصرف بغداد ، لأن أبناء الشعب مصممون على التبرك بحمل جثته على الاكتاف • وبعد أن غادر المحامون مولين وجوههم شطر مقام المتصرفية نفذت الشرطة التعليمات الصادرة اليها بشأن نقل جثة الشيخ بالسيارة • وبينما الشرطة تحمل الجثة وتضعها في السيارة التي أحضرت خصيصاً لهذه الغاية •• إذ هجم المجتمعون ، واختطفوا الجثة ومشوا بها في الأزقة بين التهليل والتكبير والهوسات الوطنية والحداء العربي الآخذ بمجامع القلوب •

وحوالي الساعة السادسة عربية اختطف الشعب جثة فقيده ، وسار بها في الشارع العام بموكب مهيب حافل ، تتقدمها الهوسات العربية ، وتتلوها التهاليل من قبل الرجال الروحيين . ثم ظهر النعش محمولاً على الأيدي يتهادى بين تلك الجموع الزاخرة كما تتهادى السفينة في البحر الزاخر .

والرائي لهذا الموكب الحافل ، ولتلك الروح الوثابة المتجلية فيه .. لا يتمالك نفسه من فرط ما يشعر به من الألم .

وقد كان الموكب مؤلفاً من مائة ألف نسمة . وكلما سار الى الامام انضمت اليه جماعات اخرى تتابع من جانب الكرخ ومن محلات الرصافة التي هرعت للتشييع ، وكان النساء ينـدبن محاسن الشيخ وفضائله ، وينحن عليه كنوح الحمام .

وكان طريق الموكب كما يلي :

١ ـ من المستشفى الملكي الى جسر مود مخترقاً الشارع العام .

٢ ـ ثم يعبر جسر مود ويمر من أمام دار الاعتماد البريطاني ، فطريق الشواكة ، فالجادة العامة المؤدية الى ترام الكاظمية ، ثم الى بيت زوجة الفقيد .

٣ ـ ولما كان الشعب متهلفاً على فقيده ، فلم يمهل أهل الفقيد بالتمتع بمرآه إلا قليلاً . وبعد ذلك اخرج النعش من البيت ، وسار به الناس الى مرقد الشيخ معروف .

وكان من أثر التصادف أن وصلت السيارة التي كانت تقـل المندوب السامي الى جانب الكرخ عابرة من الرصـافة على الجسر الصغير .. في حين وصلت فيه طلائع الموكب . ولما كان الموكب ممتداً

من الجسر الصغير الى جسر مود ، ومزدحماً بالخلق ولما كان من المتعذر مرور سيارة أو مركبة في هذا الطريق ، فقد أحسن جناب المندوب السامي بأمره سائق سيارته بالرجوع الى الرصافة ريثما يمر الموكب بأكمله.

وكانت الهوسات العربية مما تبعث في النفوس أملاً قوياً بوطنية العراقيين ، وكانت مناظر المهوسين وحركاتهم تدل على شجاعتهم وصبرهم على المكروه .. فخمة ومؤثرة معاً ، وانا لنورد طرفاً من هذه الهوسات لتكون درساً قيماً للاجانب بصلابة الوطنية العراقية ، وعبرة وذكرى للعراقيين الذين يمرغون جباههم على أعتاب الاجنبي ، ويهتكون حرمة بلادهم ويدنسون كرامة أبناء جلدتهم .. في تساهلهم مع من لا يرغبون في حفظ العهود التي قطعت للعرب حين امتشقوا المواضي البيض ، وهزّوا الرماح العوالي في سبيل الاستقلال .

وهذه طرف من الهوسات :

تلگـيها يالْبايِـجْ ضاري (١)

عايْـولَـهْ لِـلْـگُـاتِـل لَـجْـمَـنْ (٢) .

هَـزْ لندن ضاري وْبَـچّاها (٣) .

إنْذَلـيْنَـهْ عُـگُـبَـكْ يا ضاري (٤) .

العايِـلْ جِـزَيْـنَـهْ حَـدْودَهْ (٥) .

---

(١) سيدركك الثأر يا مَنْ سرقت ضاري .. وهذه الهوسة خطاب الى السائق الأرمني ميكائيل كريم .

(٢) انظروا الى قاتل لجمن .. ما أعظمه !!

(٣) هزّ ضاري مدينة لندن وقهرها على البكاء .

(٤) بعد موتك يا ضاري سامونا خسفاً .

(٥) لقد جاوزنا مدى الظالم المعتدي .

مَنْصُورَهْ يا رايَةْ ضاري (٦) .

ساعَهْ وْمَضْمُومَهْ يا لندن (٧) .

الدنْيَهْ غَدّارَهْ يا ابن العمْ (٨) .

إشْهالْغَيْبَهْ ياهْلالِ الدنيا (٩) .

چِلَيْنَهْ من كتل الصوجر (١٠) .

سِجْدُوا له لمذابحْ لچمن (١١) .

بْعِزَّةْ وْمْهَيْدَةَ يالكاتِل لچمن (١٢) .

نامْ هنيه يالكاتل لچمن (١٣) .

گَصْ راسْ ابْنْچمان أوشالَهْ (١٤) .

يا شيخ اتْهَنَّهْ بْهالْنَومَةْ (١٥) .

بِالْهِيْمَةْ يالْمامِشْ غيرَكْ (١٦) .

گَبْلَكْ سَوّوها يا ابن العم (١٧) .

دُولَهْ وْبَچّاها يا ضاري (١٨) .

---

(٦) لكِ النصر .. يا راية ضاري .
(٧) على رسلك يا لندن .. فسيكون لنا معك حساب !!
(٨) لا بأس يا ابن العم .. يا ضاري ، فان الدهر غادر .
(٩) ما هذا الأفول .. يا هلال الكون !!
(١٠) لقد مللنا مَصارع الجنود الانكليز .
(١١) اسجدوا لمن ذبح لچمن .
(١٢) لك يا قاتل لچمن العز والبحبوحة .
(١٣) نَمْ هانئاً يا قاتل لچمن .
(١٤) لقد قطع رأس لچمن وحمله .
(١٥) قَرَّ عيناً ، يا شيخ ، بهذا النوم !
(١٦) انقذنا من الفجيعة يا مَنْ ليس لنا سواك .
(١٧) لقد فعلوها ، قبل اليوم ، يا ابن العم .
(١٨) تلك دولة .. يا ضاري ، ولكنك أبكيتها !

مَشْهُورَهْ ياكَتْلَةْ لچمن[19] .

هَلْهُولَهْ للكاتِلْ لچمن[20] .

وغير هذه الهوسات كثير[*] . وكان النساء يهلهلن عندما تمر من أمامهم جماعة المهوسين من فرط الألم بمية الشيخ الشريفة .. يهتفون ويصفقون ، وهذه الحالة أقصى ما يصل اليه الانسان من التأثر ، فكما ان العين تدمع من شدة التأثر . كذلك من شدة التأثر قد تصفق الأيدي وتهتف الأفواه .

وقد دام مسير الموكب من المستشفى الملكي الى مرقد الشيخ زهاء ثلاث ساعات .

ولما وصل النعش الكريم ساحة مقبرة الشيخ معروف اختلط النساء بالرجال ، وكان الشهيق والزفير يملآن ذلك الأديم الجميل . وكانت المناحة على الفقيد عامة وشاملة تساوى فيها الرجال والنساء والشيب والمتعلمون والاميون .

وكانت المقبرة على اتساعها غاصة بالجماهير . وبينما تجد هنا جماعات النساء يلطمن وجوههن ، ويشققن جيوبهن ، وينتحبن ويبكين .. تجد هنا وهنالك رجالاً يشهقون ويزفرون ويهللون ويكبرون ويمجدون ويهوسون . وفي تلك الحالة المؤلمة ادخل النعش الى مسجد الشيخ معروف . وهناك غسل الفقيد ، وكفن .. وقد انتظرت الجماهير زهاء ساعتين ، فلم تتزحزح من مكانها حتى أكمل

---

(١٩) يا لشهرة مصرع لچمن !
(٢٠) زغردة .. لقاتل لچمن .
(*) منها : نْحِبْ ايده الكاتل لچمن . أي اننا نقبل اليد التي قتلت لچمن .

المغسلون الواجبات المقتضية • ومن ثم اخرج النعش لتُصلّى على الفقيد صلاة الجنازة ، فصلى عليه الناس دفعتين •

ولما أتم الناس صلاة الجنازة للمرة الثانية استقبل طلاب المدارس النعش الكريم ، وأصروا على أن يحملوه دون سواهم الى مقره الأخير • وقد أنصف الخلق شبيبتهم المهذبة ، وقدروا الروح السامية التي ظهروا بها • وهكذا فاز التلاميذ بشرف حمل جثمان الفقيد •

وفي الساعة الحادية عشرة القي الفقيد في ضريحه ، وقرأ الناس على روحه الفاتحة ، ورجعت الجماهير عبرى وكلها ألسنة ثناء وشكر على الفقيد •

فوداعاً يا أبا خميس ، والى الملتقى في يوم تلتقي فيه الأرواح السامية ، وتتعارف النفوس البريئة الطاهرة •

لقد أنصفت بلادك في حياتك ، وقد أنصفت بلادك في مماتك وحياتك معاً ، فكلاكما أدى واجبه ، وكلاكما حرٌ أبي •

• • •

ونشرت جريدة العراق البغدادية الصادرة يوم الخميس ٣ شباط ١٩٢٨ في حقل (أخبار وأفكار) ما يلي :

بعد أن حكم على الشيخ ضاري بالاعدام شنقاً ، وبعد أن نزلت عقوبة الاعدام الى عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة •• مات •• وقد كان الشيخ مريضاً ، وكان مرضه « ذات القصبات » مزمناً ، وقد هدّ قواه ، وتركه نحيلاً هزيلاً •

وكان الشيخ شاعراً بموته قبل أيام ، وقد تنبأ بموته أمام المحكمة قائلاً : اني سأموت فافعلوا ما تريدون ، واني لم أبق أكثر من شهر •

•• أخذ الى مستشفى السجن بعد الحكم عليه ، وشُرع

بمعالجته ، وجعلوا له مسجونين من الزوبع عشيرته خداماً له ، فأخذ هؤلاء الخدام يخدمونه أحسن خدمة ويحوطونه بكل اهتمامهم وعنايتهم .. ولكن المرض ما زال يشتد به ويهد بنيان قواه حتى تركه قاعاً صفصفاً .

وكان فجر يوم أمس .. وشعر الشيخ بدنو الرحيل ، وقامت المعركة بين الجسد والنفس .. تأبى هي الا مفارقته ، ويأبى الا الالتصاق بها ، فقال الشيخ للذين حوله : « اني أرى طروش الموت جاءوا يأخذون أمانتهم » (١) . وفي الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم أمس فارق الشيخ هذه الحياة هادئاً مطمئناً ولم يستفد منه حكم المحكمة عليه شيئاً ، وكان حتى ساعته الاخيرة حاصلاً على قواه العقلية بالرغم من المعركة التي قامت بين موته وحياته .

وفي صباح أمس نعي الشيخ ، فتحدث الناس بموته ، وكان يقول أحدهم للآخر : « مات الشيخ ضاري » . ثم ارسل جثمانه الى المستشفى الملكي للفحص الطبي ، فذهبت امرأته وأهله ووكلاؤه الى المستشفى طالبين جثته . وبعد أخذ ورد .. رخص لأهله بنقل جثمانه الى مقره الأخير . وما كنت تعرف من أين تجمهر الناس ، فقد ازدحموا حوالي الجثمان مئات والوفاً ، وشيعوه تشييعاً حماسياً مؤثراً . وتظاهر أمام نعشه الناس تظاهرات مؤثرة وبكي عليه ذلك الجمع الغفير بكاء مؤلماً . وقد كانت جموع المتظاهرين يصيحون : وا ويلاه كاتل لجمن »(٢) و « يابو السيف يابو المنسف »(٣) ،

---

(١) اني أرى رسل الموت قد جاءوا لاستلام الامانة .
(٢) واويلاه .. ! .. يا قاتل لجمن .
(٣) .. أين أنت يا صاحب السيف ، ويا مطعم الناس ؟ أو لقد افتقدناك أيها الشجاع الكريم !

وأمثال هذه الأقوال والعبارات التي كان لها في قلوب الجموع المحتشدة وقع بليغ . وكان يرافق الجموع ثلة من رجال الشرطة للمحافظة على الهدوء والسكينة . وهكذا مشى الموكب مع جثمان الشيخ الى مقره الأخير ..

ودفن الشيخ في مقبرة الشيخ داود الطائي ، وهناك حواه قبر صغير بعد ما شاءت الأقدار أن تضيق به الجزيرة برمتها . رحمه الله رحمات واسعة .

● ● ●

وبين القبور المتجاورة في تربة الشيخ داود الطائي .. تشامخ قبر الشيخ ضاري ، مختالاً بشاهد فخم من المرمر ، هذا محتواه :

هو الباقي

ولما قضى في الله حبساً مقيداً
بأيدي أعداء الاله يُعَذَّبُ

هو الرجل المقدام والبطل الذي
سما هامة الجوزاء في الله يطلب

هو الشيخ ضاريُ الهمام الذي به
علت آل قحطان الكرام المراتب

فناحت عليه الجن بالنوح والبكا
وزلزل عرش الله شرق ومغرب

ففاتحة الله الكريم لروحه
فأرخه : ضاري في الجنان يقلب

هـذا قبر المرحوم الشيخ ضاري بن ظاهر المحمود . توفى في شعبان سنة ١٣٤٦ هـ .

● ● ●

وزرعت وفاة ضاري المفاجئة بين الناس شكوكاً انعقدت على أنه اغتيل في السجن ، ولم يجد المرحوم عبدالغفور البدري صاحب جريدة الاستقلال بدآ من مراجعة المستشفى الملكي للحصول على التقرير الطبي الخاص بتشريح جثة الشيخ ضاري ، وقد نشر البدري ترجمة هذا التقرير في جريدته صباح الاحد ٥ شباط ١٩٢٨ • • وهذا نصه :

جرى اليوم تشريح جثة الشيخ ضاري المحمود رئيس عشيرة الزوبع البالغ من العمر ثمانين سنة ، وقد حضر كل من الدكتور دنلوب وصائب شوكت وهاشم الوتري وابراهيم الآلوسي •

كانت الجثة في حالة هزال ومحمصة شديدة • كان (الصمول الميتي) قد بدأ في الأصابع والساق ، ويوجد على الساق الأيمن أثر كسر قديم •

الرئة اليسرى : تحتوي على كهف واسع ناشيء عن تدرن مع التصلبات •

القلب : يحتوي على علقات دموية حاصلة بعد الموت في جميع أجوافه •

عضلة القلب : باهتة اللون ورخوة وكان يوجد فيه شحم أكثر مما هو في الحالة الطبيعية •

وكان يوجد في الأبهر علائم التصلب الشرياني •

كان القولون (المعا الغليظ) محتوياً على قروح ناشئة عن الديزانتري •

سبب الوفاة : وقوف القلب بسبب تقدم السن والتدرن الرئوي والديزانتري المزمن •

١ شباط ١٩٢٨ الطبيب كوركيل

طبيب الموظفين ومعاون المشرح

● ● ●

ونشرت جريدة الاستقلال في عددها الصادر يوم الاثنين ٦ شباط ١٩٢٨ استفتاء حول محاكمة الشيخ ضاري •• هذا نصه :

حضرة الفاضل صاحب جريدة الاستقلال الغراء المحترم

اطلعت على التقرير الطبي بشأن فتح جثة المرحوم الشيخ ضاري المحمود رئيس عشيرة زوبع •• ذلك التقرير الذي نشرتموه في عدد أمس من الاستقلال •

ان الرأي العام كان يتطلع الى قضية الشيخ الجليل بعين الاهتمام، وكان قد علم من الصحف اليومية التي اهتمت بهذه القضية ان الشيخ الفقيد كان مريضاً مؤقتاً •• الأمر الذي ألجأ المحكمة الى أن ترسل على الطبيب الانكليزي دنلوب في يوم ٢٩ كانون الثاني ١٩٢٨ ، وهو اليوم الذي قدم فيه الدفاع ، وبلغ فيه على الفور • وأشار الطبيب المومى اليه على المحكمة بالاستمرار في محاكمته ، مع ان النظريات الحقوقية تقضي على أن يكون المتهم عند المرافعة في حالة صحية يستطيع فيها الدفاع عن نفسه • وتمنع محاكمة مريض بالمرض الذي كان يعانيه الفقير كما اتضح جلياً من التقرير المنشور حيث قد ثبت ان الشيخ كان مبتلى بمرض شديد الوطأة ، لا يستطيع معه الدفاع عن نفسه ومساعدة المحكمة في ايصالها الى الحقيقة •

فلذلك استغرب الرأي العام محاكمة الشيخ ضاري وتبليغه حكم المحكمة عليه ، وهو في حالته المعلومة • وبما انني لست محامياً ولا طبيباً •• يجوز لي مناقشة هذه الحالة فأرجو تنوير الرأي العام في هذه المسألة التي أصبحت حديث الخاص والعام صيانة لكرامة مسلك الطبيب الجليل وحفظاً لسمعة القضاء في العراق •

« عراقي »

● ● ●

وعلّقت الجريدة على هذا الاستفتاء قائلة :

بما أن المسألة تتعلق بالأطباء والحقوقيين ، فان الاستقلال ترجو من جميع المحامين ووزارة العدلية والأطباء ومديرية الصحة العامة تنوير الرأي العام في هذه المسألة بملحوظاتهم وآرائهم العلمية • ولا سيما وقد راجعنا كثيرون من الأهالي ، وطلبوا منا عين الطلب مبدين رغبتهم أيضاً في الاطلاع على تقرير طبيب السجن الذي قدم الى المديرية قبل محاكمة الشيخ ضاري الأخيرة ، وقد أشيع انه يتضمن عدم جواز محاكمة الشيخ وهو في الحالة الصحية التي كان عليها يوم كتابة ذلك التقرير •

● ● ●

ونشرت جريدة الاستقلال في عددها الصادر صباح ٨ شباط ١٩٢٨ نداء لاقامة حفلة تأبين موقعاً باسم (الحمامي) •• هذا نصه :

بمناسبة رحيل المرحوم الشيخ ضاري المحمود ـ عليه الرحمة ـ اقترح على رجال الأمة وقادة أفكارها أن تقام حفلة تأبينية وقراءة

الفاتحة في مسجد الحيدرخانة على روح الفقيد أحـد أعلام الثورة العراقية بل أكبر أعلامها • ولنا الأمل الوطيد برجالنا المنورين أن يصادف هذا الاقتراح آذاناً صاغية •

● ● ●

تلكم هي قصة الملحمـة الزوبعية ، وقد سيطرنا على جميع ملابساتها ونتائجها •• وقبل أن نختتم كتابنا نرى الأجدر بالتنويه أن نخاطب الدكتور لچمن (وهو الآن اما شيخ كبير أو رهين قبر في انكلترا) بكلمة رفيقة عادلة •• فهو بعد أن تناهى الى اذنه أن ابنه قتل في خان النقطة •• ذرف دمعتين •• وقال : انهم كلاب اولئك الذين اغتالوا ولدي من الخلف !!

ونحن نقول : وماذا تتوقع يا دكتور لچمن ؟ هل تريد أن يكون ابنك حاكماً سياسياً في بلد بعيد لا تربطكم به أية وشيجة ؟ وهل من المنطق أن تحكموا شـعوب الأرض بالقوة ؟ وبأي مرسـوم فرضتم سيادتكم على بلادنا ؟ وماذا عسى أن يكون موقفك ، يا دكتور لچمن ، من الشيخ ضاري اذا فرضناه حاكماً سياسية على مقاطعة يوركشاير في بلادكم ؟

● ● ●

بقيت إلماعة أخيرة في صدد البطولة العراقية شاخصة في مصرع لچمن ، وهي موقف الشعر العراقي من جهاد الشيخ ضاري ، وساءنا أن نجد ، بعد البحث والتفتيش ، هذا الموقف مائعاً ، لم ينصر الحدث التاريخي الذي هز لندن وارتجفت له فرائص الجواسيس •

والذي يثير العجب، حقاً، أن يسكت شعراؤنا عن بطولة ضاري، وأن لا نجد لهذه البطولة أي صدى في شعرنا الحديث ... ولعل ربة الشعر كانت ترتجف خوفاً من حقد المشاور السياسي وبطش التحقيق الجنائي .. وتلك ظاهرة تدعو الى التأمل !!

وقد أسعدنا أن نعثر بين النفثات التموزية الاولى قصيدة عامرة نظمها الشاعر زهير أحمد القيسي بعد تموز ١٩٥٨ نشيداً للثورة اللاهبة التي اجتثت وجود لجمن من واقعنا العراقي، وهذه هي القصيدة :

« نحنُ الداعينَ لذي العظمةْ
من مشرقها حتى العتمةْ
الأرضُ لنا .. لا للظَلَمةْ
والويلُ لهمْ في الملتحمةْ
إذ نعصبهم عصبَ السَلَمةْ
ونؤزُّ بهم ناراً حَطِمةْ
لاتُبقي منهمُ منْ نَسَمةْ »(*)

« هزْ لندنْ ضاريْ وبجاها »
والسهلُ المائجُ بالراياتْ
والعتمةُ تزحفُ في الوادي
والقمرُ الشاحبُ، والظُلماتْ ..
وهتافٌ، كالثورة، كالنار :
« فلتدفنْ لندنُ موتاها » !

(*) نشيد ثورة الفلاحين العراقيين في السواد ـ القرن الرابع الهجري .

«هزْ لندنْ ضاري وبچاها»
يا ضاري يا باسلُ يا ضاري
فلنغسل أرضَ الأوطان من العارِ
ولنشعل نيرانَ الثورة
ونعيشُ على أرضٍ حرة
والقائدُ يرفعُ سيفَ الموتِ على الباغي
وصياح الثوارِ الصاخبُ في الوادي :
فلينهدم الاستعمارُ الطاغي ،
وليسقط اعداءُ الشعبِ .

●

ودموعٌ تجري من عيني (عفرا) ،
فالزوجُ الثائرُ يمضي للثورةِ ، كالنارِ
خطاهُ تضيعُ وتنأى في الدربِ ،
إذْ يمضي مع كل الصحب .
والصوتُ يرنُ بأنشاد :
سـأعودُ غـداً حراً
سنحرر أرضَ الوطنِ
ونعيد الحقَ المغصوبَ فلا (عبدُ)
يلقى من (سيده) مُرَ الشجنِ ...
والفلاحون سلاحهمُ الايمانُ الراسخُ بالثورة ،
إنْ يمشوا ، ترتج لخطوهم الارضُ
تتزلزلُ من هزجهمُ الوديانُ الخضر
ويرفُ بكفِ (حُسينَ) لواءُ
و (حسينُ الاحمدُ) فلاحٌ خشنُ

يؤمنُ بالارضِ وبالمحراث وبالمنجل ،
لكنَ (حسيناً) هذا اليوم
يرجو بالثورة آمالاً كبرى :
توزيع الارض ، وأحلاماً أخرى .

◉

وهنالك في (المركز) خلف التل
يجلسُ « لچمان » الحاكمُ كالشرِ ،
كأله الشرِ ، كمعبود شرس
والسوطُ بكفيه يلاعبه :
« يا عربياً ... عبداً ، يا قنا »
« يا محتـ .... » وينقطع الصوتُ ،
إذ يخرسهُ العربيُ إلى الابد :
« متْ يا مستعمرُ يا عات
رُح لجهنمَ .. يا ابنَ الكلبِ »
« تحريراً لا غزواً » !! ويلك يا غازي (١)
يا لصاً يسرقُ قوتَ الشعب
يا وغداً دنسَ أرضي بالعار

◉

ويردد ابناءُ العرب :
يا ضربة حرٍ لن ننساهـــا
« هزْ لندنْ ضاري وبچاها »
فلتدفن لنـــدن موتاها !!

---

(١) اشارة الى كلمة الجنرال مود التي قالها يوم دخل بغداد .

بوركتِ يداً تهوي بالموتِ على العاتي
لجمانَ السفّاحُ الفظ الملعونُ ،
ايكون دمٌ نتنٌ لك يا مأفونُ ،
بدلاً لدم ما زال يراقْ ؟
وتضجُ دمايَ : عراق .. عراق ...

•

يا ضاري يا باسلُ يا ضاري ،
فلينهدم الاستعمارُ الغاشمُ يا ضاري
ولنغسل ارض الوطنِ
من ادران الاستعمارِ
ولنخلقْ من (ضاري) الثائرِ رَمزاً للثوارِ
في كلِ مكانٍ من وطني :
في المصنعِ والحقل ، وفي الدارِ
ولتخلد ذكرى ثورتنـــا
ولتخلد ذكرى الثوار الاحرار

استدراك واضافة

وقفنا ، بعد الفراغ من طبع الكتاب ، على معلومات جديدة تتعلق بلچمن في كتاب (الرهيمة) للاستاذ عبدالرحيم محمدعلي فرأينا أن يكون سياقها التاريخي بعد السطر الرابع من الصحيفة (١٩) من كتابنا . ورجاؤنا تسجيل النص الآتي هناك :

وفي أيام الاحتلال ترك الانكليز مفتولة تسمى «مفتولة لچمن» .. وقد بناها لچمن لتكون محلاً لمراقبة الغزو الذي كان يقع في منطقة الرهيمة[١] ، وهي اشبه ما تكون بالمنارة ، يبلغ ارتفاعها (١٢) متراً تقريباً ، وقاعدتها (٣) أمتار تقريباً وقمتها متران تقريباً تحيط بها مجموعة من الثقوب تسع فوهة الرشاشة والبندقية أو عدسة المنظار .

وفي يوم ١٦-١٠-١٩٦٥ سقطت المفتولة الى الارض من جراء الامطار والسيول وازيلت من الوجود ، ولم يزل الشخص الذي أشرف على بنائها على قيد الحياة وقد جاوز الثمانين من عمره ، واسمه (علي الراضي) وكان لچمن لا يفارق هذه القرية ابداً لان متطلبات وجوده فيها هي التي كانت تفرض بقاءه . وكان يتجول من عين التمر الى قرية الحياضية والى قرية الرهيمة ثم ناحية الرحبة . ويقوم بتجواله ليلاً مع خادمه . وفي ايام بقائه في الرهيمة شكّل مفرزة مكونة من ستة عشر جندياً خيالاً من ابناء العشائر براتب ضخم قدره سبعون ربية لكل واحد منهم .

---

(١) قرية صغيرة من ضواحي قضاء النجف وتابعة لناحية الرحبة اداريا (سابقا) وتقع غرب مدينة النجف على طريق الحج البري .

وكان لجمن يمنح سكان الرهيمة بطاقات جواز المرور للكيل والتموين من الكوفة لان أبواب النجف كانت مغلقة بوجه الاطراف المحيطة بها • وفي ايام تجواله بنى في الرهيمة دائرة للشرطة ووسعها • وكان ذا عناية خاصة بالزراعة ويقال انه هو الذي زرع النخيل هناك اذ كان ينقل الفسائل من قرية الحياضية بعد أن طرد الملاكين من الرهيمة •• فكان يوزع العائد بنفسه عليهم •

مراجع الكتاب

آ ـ العربية :

١ ـ تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة (ترجمة الدكتور عبدالجليل الطاهر) مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٥٨ .

٢ ـ تاريخ الوزارات العراقية (للسيد عبدالرزاق الحسني) الجزء الثاني ، صيدا ١٩٥٣ .

٣ ـ ثورة العراق (للسيد نعيم ابراهيم زبيدة) مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٣١ .

٤ ـ الضحايا الثلاث (للمرحوم عبدالمنعم الغلامي) مطبعة الهدف ـ الموصل ١٩٥٥ .

٥ ـ تاريخ العراق السياسي الحديث (للسيد عبدالرزاق الحسني) الجزء الأول ، صيدا ١٩٤٨ .

٦ ـ فصول من تاريخ العراق القريب (للمس بيل ، ترجمة السيد جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩ .

٧ ـ فنون الأدب الشعبي (للشيخ علي الخاقاني) الحلقة الرابعة ، مطبعة الأزهر ـ بغداد ١٩٦٢ .

٨ ـ ثورة العراق ١٩٢٠ (للفريق هولدين ، ترجمة السيد فؤاد جميل) مطبعة الزمان ـ بغداد ١٩٦٥ .

٩ ـ شعبنا (للسيد يوسف العاني) مطبعة شفيق ـ بغداد ١٩٦١ .

١٠ ـ الثورة العراقية الكبرى (للدكتور عبدالله الفياض) مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٣ .

١١ – منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء (للسيد ياسين بن خير الله العمري ، تحقيق السيد سعيد الديوه‌چي) مطبعة الهدف – الموصل ١٩٥٥ .

١٢ – الثورة العراقية الكبرى (للسيد عبدالرزاق الحسني) مطبعة العرفان – صيدا ١٩٦٥ .

١٣ – معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (للسيد عمر رضا كحالة) الجزء الثاني ، المطبعة الهاشمية – دمشق ١٩٤٩ .

١٤ – حوادث العراق في سنة ١٩٤١ (ترجمة السيد جعفر خياط) بيروت .

١٥ – عشائر العراق (للسيد عباس العزاوي) الجزء الأول ، مطبعة بغداد – بغداد ١٩٣٧ ، والجزء الرابع ، مطبعة شركة التجارة والطباعة – بغداد ١٩٥٦ .

١٦ – الحقائق الناصعة في الثورة العراقية (للمرحوم فريق المزهر الفرعون) مطبعة النجاح – بغداد ١٩٥٢ .

١٧ – العراق : دراسة في تطوره السياسي (للدكتور فيليب آيرلاند ، ترجمة السيد جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩ .

١٨ – الوقائع الحقيقية في الثورة العراقيـة (للمرحوم علي البزركان) مطبعة اللواء – بغداد ١٩٥٤ .

١٩ – تاريخ القضية العراقية (للدكتور محمد مهدي البصير) مطبعة الفلاح – بغداد ١٩٢٤ .

٢٠ – التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (للسيد محمد ابن خليفة النبهاني) مصر ١٣٤٣ هـ .

٢١ ـ ثورتنا في شمال العراق (للمرحوم عبدالمنعم الغلامي) الجزء الأول ، مطبعة شفيق ـ بغداد ١٩٦٦ ٠
٢٢ ـ جريدة الموصل (عدد ٢٣ آب ١٩٢٠) ٠
٢٣ ـ مجلة لغة العرب (الجزء الأول ـ السنة السادسة ، ١٩٢٨) ٠
٢٤ ـ جريدة العراق (أعداد ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٣١ كانون الثاني ١٩٢٨ و ٢ شباط ١٩٢٨) ٠
٢٥ ـ جريدة الاستقلال (اعداد ٢ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ شباط ١٩٢٨) ٠
٢٦ ـ جريدة فتى العرب (عدد ١٥ جمادى الثانية ١٣٥٥ هـ) ٠
٢٧ ـ مقابلة شخصية مع الحاج سليمان بن الشيخ ضاري ، في مضيفه ظهر الجمعة ٢٤/١١/١٩٦٧ بالقرب من خان الشيخ ضاري ٠
٢٨ ـ الرهيمة (للسيد عبدالرحيم محمدعلي) مطبعة الغري الحديثة ـ النجف ١٩٦٦ ٠
٢٩ ـ ملحق جريدة الجمهورية (بغداد ـ العدد الثالث ١٦/ آب ١٩٥٨)

ب ـ الافرنجية :

1— N. N. E. Bray, A Paladin of Arabia, London 1936.

2— Sir Arnold Wilson: Mesopotamia 1917-1920 a clash of Loyalties, Oxford, 1931.

3— Freya Stark, East is West, London, 1946.

4— S. H. Longrigg, Iraq 1900 to 1950, London, 1956.

5— J. E. Tennant, Tin the Clouds Above Baghdad, London, 1929.

فهرس الاعلام

المحتوى

مكتب

العلوچي والحجية

عيادة ثقافية .. أدركتها الحرفة المشهورة فتعارفت مع الكتاب ، وجندت له العاطفة والجيب ، وهي راسخة على أن تدور مع الثقة ، وتتشامخ بأحمد سمعة .

ويسعدها أن تستقبل زائريها وضيوفها في الطابق الثاني من عمارة فائق الحاج رؤوف بجوار مصرف الرهون – شارع الأمين – بغداد . وأن تحدث حلفاءها بتلفون ٨٣٦٠٣ .

● ● ●

مطبوعات المكتب :

١ – وعد بلفور : تأليف عزيز الحجية (نفد)

٢ – صور من حياتنا الشعبية : تأليف طلال سالم الحديثي

٣ – الشيخ ضاري : قاتل الكولونيل لجمن في خان النقطة
تأليف عبدالحميد العلوچي وعزيز جاسم الحجية .

تحت الطبع :

١ – الامام جعفر الصادق (ع) : تأليف المستشرق الانكليزي
جون تايلور وترجمة عبدالحميد العلوچي .

٢ – كتب قرأتها : تأليف ناجي جواد الساعاتي المحامي

٣ – حياة الحلاج بعد وفاته : تأليف المستشرق الفرنسي ماسينيون ، وترجمة الدكتور أكرم فاضل •

٤ – بغداديات (الجزء الثاني) تأليف عزيز جاسم الحجية

٥ – ديوان لقيط بن يعمر الايادي : (عن خمس نسخ مخطوطه) حققه وعلّق عليه خليل ابراهيم العطية •

٦ – أزياء بغدادية : تأليف عزيز جاسم الحجية

٧ – تاريخ القرآن : (المجلد الأول) تأليف عبدالحميد العلوچي

٨ – جهينيات ، تأليف جهين

٩ – آمال وآلام (ديوان شعر) للشاعر كاظم محمد حسين •

١٠ – مشاعل المسيرة (ديوان شعر) للشاعر عبدالسلام حلمي

Sheik Dhari

Assassin of Lieut - Col. G. E. Leachman

AT

Khan EL - Nuqta

BY

A. H. Al - Alouchi A. J. Al - Hijiya

As'ad Press - Baghdad

1968

